

الفصل الأول

العلاقات الدبلوماسية

- الكلمة "دبلوماسية" أصلها يوناني، مشتقة من فعل (دبلو – Diploo) التي معناها "يطوى" أو "يثنى"
 - الاسم نفسه "دبلوما" كان بيدل على الوثيقة الرسمية المطوية أو المثنية التي يبعثها الحكام وأصحاب السلطان لبعضهم في علاقاتهم الرسمية، وبتخول حاملها امتيازات ومعاملة خاصة أثناء السفر لأداء المهمة المكلف بها
 - انتقل المصطلح من اليونانية لللاتينية واستعمله الرومان بنفس المعنى تقريباً، وكان يطلقوا "دبلوما" على الوثيقة المطوية المختومة التي الدولة بتزود بها الموفدين رسمياً، مع ضمان رعايتهم وأمانهم في التنقلات
 - السياسي والمشرع الروماني شيشرون ذكر لفظ "دبلوما" بمعنى التوصية التي تُعطى للموفدين في مهام رسمية لجهات أجنبية، ويتسمح لهم بالمرور والأمان وتلقي عناية خاصة في الدولة الموفدين إليها
 - في العصر الحديث، العرف القديم ده امتد لجواز السفر الخاص بالدبلوماسيين التي ييمنح حاملينه امتيازات وحصانات دولية
 - مع تطوّر الإمبراطورية الرومانية، توسع مدلول "الدبلوما" ليشمل وثائق رسمية ثانية زي الاتفاقيات والمعاهدات، وامتألت الأرشيفات القديمة بيها، فظهر دور "الكتابة المدربين" لحفظ وتصنيف وتبويب الوثائق دي
 - ظهر مصطلح "الشؤون الدبلوماسية" أو "العمل الدبلوماسي" التي ظل مستعمل لحد أوائل التاريخ الحديث بمعنى إدارة المحفوظات والوثائق الرسمية ("الدبومات")
 - في العصر الحديث حاول كتار يعرفوا "الدبلوماسية" بناءً على مهامها المتنوعة، فجاءت التعريفات بعبارات مختلفة لكنها اتفقت على الفكرة الأساسية:
- إدارة العلاقات الدولية عن طريق التفاوض والسفراء والمبعوثين
 - فن الدبلوماسي ومهارته في ضبط العلاقات وإجراء المفاوضات
 - الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكام الدول والأمارات المستقلة
 - معالجة المصالح المتبادلة بين الدول بوسائل سلمية
- بعض الناس استعملوا "الدبلوماسية" بشكل عام بدون دقة، باعتبارها مرادفة للفظ "السياسة الخارجية" أو "السياسة الدولية" في فترة معينة
 - في العموم، الدبلوماسية علاقة سلمية ورسمية بين الدول فيها مقومات أساسية:
- التمثيل الدبلوماسي (إرسال السفراء والمبعوثين) مع الامتيازات والحصانة والبروتوكول الخاص باستقبالهم
 - المراسلات الرسمية والمفاوضات وعقد الاتفاقيات والمعاهدات
 - أدوات دبلوماسية ثانية زي الضغط والتهديد، وتكوين التحالفات والمحاور السياسية، والاستعانة بوسائل التخابر السرية

- الباحث في تاريخ الدبلوماسية لازم يعرف العوامل اللي بتؤدي لقيام العلاقات الدبلوماسية وبتأثر في مسارها ونتائجها، ويدرسها ضمن المقومات والمفاهيم دي.

جذور الدبلوماسية

- الدبلوماسية ابتدت من أقدم العصور كوسيلة اتصال وتفاهم بين الجماعات البشرية المتجاورة
- مع تداخل مصالح المجتمعات الأولى، ظهر احتياج لعلاقات حسن الجوار ولو مؤقتًا
- الاحتياج ده ولد أساليب دبلوماسية كسلوك اجتماعي يبفرضه الرغبة في التفاهم، تبادل المنافع، وتحقيق السلام
- عبر العصور ظهرت علاقات دبلوماسية بأشكال مختلفة، لكنها اتشابهت في الأغراض والوسائل والنتائج
- بعض تقاليد الدبلوماسية الحديثة ليها جذور في التقاليد اللي عرفتها الإنسانية زمان
- تطورت العلاقات الدبلوماسية في مراحل تاريخية:
 - الشرق الأدنى القديم: دول المنطقة استخدمت الدبلوماسية في ازدهار حضاراتها
 - اليونان والرومان: عرفوا العلاقات الدبلوماسية ونمّوها
- العصور الوسطى انقسمت فيها الإمبراطورية الرومانية لقسمين:
 - الجزء الغربي: اجتاحتها القبائل الجرمانية، ظهر فيه النظام الإقطاعي وتأسست ممالك وإمارات مستقلة، وبرزت فيه الكنيسة الكاثوليكية والبابوية كسلطة روحية عليا على غرب أوروبا
 - الجزء الشرقي (الدولة البيزنطية أو بلاد الروم): تغلبت عليه الثقافة الهلنستية والمذهب الأرثوذكسي المسيحي، واستخدم الدبلوماسية كوسيلة أساسية للتعامل مع متطلبات ومسؤوليات علاقاته الخارجية

الإسلام والعلاقات الدولية

- في العصور الوسطى، وبالذات في القرن السابع للميلاد، بزغت شمس الإسلام وظهرت دولته على المسرح السياسي العالمي
- المسلمين في علاقاتهم مع الدول غير الإسلامية اعتمدوا على وسيلتين أساسيتين: الجهاد والعلاقات السلمية (الدبلوماسية)
- الخلاف الفقهي ظهر بدري في تحديد أصل علاقة الدولة الإسلامية بالآخرين:
 - فريق شافى إن الأصل هو الجهاد وإنه لازم يُطبّق ضد غير المؤمنين
 - فريق تاني بيقول إن الجهاد دفاعي مش هجوم ، وإن السلم هو الأصل في المعاملة، مستندين لآيات زي “لا إكراه في الدين” و”ادع إلى سبيل ربك بالحسنى...”
- الإسلام ما بيقرش العدوان، والقتل مكروه إلا للدفاع الشرعي عن النفس، زي الآيات:
 - “كتب عليكم القتال وهو كره لكم...”

- “وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا...”
- “وإن جنحوا للسلم فاجنح له...” و”يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة”
- مع ذلك، الفقهاء اختلفوا في **مدة المهادنة** (المهلة أو المعاهدة) وحكم استمرارها زمنياً، لكن كلهم أجازوا أصل عقدتها
- الدبلوماسية اشتهرت ببيها جنب الجهاد طول عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وكبرت وتطورت مع مرور الزمن وبحسب الظروف
- في علاقات المسلمين بالدول الإسلامية، قسّموا العالم لـ:
- **دار الإسلام**: الأراضي التي تطبق فيها شعائر وأحكام الإسلام
- **دار الحرب**: الأراضي التي ما غلب فيها الإسلام ولم تقم فيها أحكامه
- بعدد بعض الفقهاء ضافوا **دار الصلح (أو دار العهد)**، تبنى عليها **التعايش السلمي** وعقد العهود والدبلوماسية بين دار الإسلام ودار الحرب
- لقيت شبه كبير بين النظم الدبلوماسية الإسلامية ونظم العصر الحديث، لكن الاختلافات بانته بسبب **الظروف التاريخية المختلفة**
- **خلال الحروب الصليبية**، النظم الدبلوماسية ما كانت مستمرة أو دائمة:
- ما كانت في “سفارات دائمة” زي دلو قتي
- الممثلين (سفراء ورسل) كانوا يُبَطِّرحوا في مناسبات خاصة ويرجعوا بعد إتمام مهمتهم أو فشلها
- سبب الانقطاع ده كان جزء منه **الشك في نوايا الرسل** والخوف من التجسس أو إثارة الفتنة في البلاد الموفدين إليها
- أصول النظم الدبلوماسية الإسلامية**
- الأصول بتاعت النظم الدبلوماسية الإسلامية بترجع للشريعة الإسلامية: القرآن هو المصدر الأساسي اللي بيحدّد مسارات العلاقات الخارجية سواء في الجهاد وشروطه أو العلاقات السلمية والدبلوماسية.
- السنة النبوية مليانة بتفاصيل ومعايير خاصة بالمعاهدات والهدن والمراسلات الدبلوماسية، وبتحتوي على القواعد اللي انبنت عليها العهود بين المسلمين ودول دار الحرب.
- أقوال الفقهاء واجتهادات الخلفاء وكبار المسؤولين كمان شكلت ركيزة أساسية للقواعد الدبلوماسية، وهم اللي وضعوا الفتاوى والشروح اللي أوصوا بيها خلفاءهم وقادتهم العسكريين.
- العرب قبل الإسلام كان ليهم خبرة دبلوماسية، وده واضح في كتاب ابن الجراء اللي خصص فيه باب عن “إيه كانت قريش بتعمل لما تبعت رسول للملوك في الجاهلية”.
- المسلمون استقوا كمان من خبرات الأمم السابقة وتأثروا بيها في الدبلوماسية:
- الفرس: ابن الفراء ذكر تقاليدهم في اختيار الرسول وكتاب “خداي نام” وتعاليم حكماهم.

- الإغريق: نقل عن كتاب السياسة وسيرة الإسكندر الأكبر ووصايا أرسطو عنه وصفات السفير عندهم.
- الهنود: كان عندهم نظام معين لإرسال الرسل، وابن الفراء نقل معلومات عن خبرتهم دي.
- الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان عليها المسلمون والفرنجة أثرت في شكل وخصائص النظم الدبلوماسية عند كل طرف.
- السفراء والرسل كان لهم أهمية كبيرة في التمثيل الدبلوماسي:
- الرسول: كلمة مشتقة من الإرسال، معناها إن الشخص ده موثوق ومعتمد لمهمة سياسية أو دينية بين حاكمين.
- السفير: مشتقة من "سفر" ومعناها المصلح والوسيط بين القوم، وفي المصادر عندهم مشتقات زي "سفير الدولة" و"سفير الملوك".
- المصادر العربية القديمة ما عملتش فرق رسمي بين "الرسول" و"السفير"، وكانوا بيستخدموهم كمرادفات، وده واضح في كتاب ابن الفراء "رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة".
- المهام الأساسية للسفراء والرسل كانت:
- التفاوض لإنهاء القتال وعقد الصلح
- إطلاق سراح الأسرى
- تسوية خلافات بين دولتين
- رعاية المصالح المختلفة، خاصة الاقتصادية وتنشيط التجارة وتأمينها
- التفاوض لعقد حلف عسكري ضد عدو مشترك
- شروط انتقاء السفراء عند المسلمين تضمنت:
- الفصاحة والبيان ("حسن اللسان وحاذّ البصر")
- الذكاء والجرأة
- الأمانة والدقة في تنفيذ المهمة
- الهيئة والمظهر ("مذكوراً وسيماً مسيماً... تُرْمَقُ الرّئي أكثر من الكفاية")
- اجتياز اختبارات سابقة قبل الإيفاد ("يُجَرَّبُ برسانلٍ متكررة وعين يراقبه")
- أهم نصائح وأجوبة المؤلفين المسلمين حول هذا الانتقاء:
- ابن الفراء: "السفير ذكي القلب يفهم الإيماء وينظر الملوك..."
- القلقشندي: "يكون صحيح الفكرة والمزاج، لين في تعامله، بصيراً بمخارج الكلام..."
- مراقبة أداء السفراء:

○ حكام الدولة كانوا يثبتون ما ينقله الرسول حرفياً ومعنىً ("يحكى الكتاب حرفاً حرفاً")

○ أرساد مرافقين ("يردّفه بآخر") لمنع الطمع وضمان الأمانة

● الفئات التي اختير منها السفراء:

○ الأمراء وكبار موظفي الدولة (وزراء، قضاة، علماء، تجار...)

○ جهاز ديوان الإنشاء كان يمدّهم بالكفاءات، وربما رئيس الديوان كان يختار أو يرشح السفراء

● الوثائق الدبلوماسية ("التذاكر") التي كان يحملها السفير معتمدة من ديوان الإنشاء:

○ تضمنت اسم المرسل وصفته وجواز اعتماده

○ كتبها خطاطون محترفون على ورق بغدادى سميك وممرن

○ نصها يبدأ بالبسملة ثم: "تذكرة منجحة صدرت على يد فلان..." وبيان المهمة وطلب إنجازها

● معاملة السفراء الأجانب بما فيهم سفراء الفرنجة:

○ استقبال رسمي مراعي للبروتوكول واللياقة والحفاوة

○ تقديم أوراق الاعتماد ومنح امتيازات مقاربة للنظم الدبلوماسية الحديثة

أحمد كرم

ونعرض فيما يلي أهم مظاهر معاملة المسلمين لهؤلاء السفراء:

الامان والحصانة الدبلوماسية

● فكرة حصانة السفير في الزمن الحديث مبنية على العرف الدولي والقانون الدولي والنصوص التي حُطت لتنظيم التمثيل الدبلوماسي

● قبل التشريعات دي، كانت حصانة الرسول بتعتمد على الأحكام الدينية التي حددت قواعد معاملة السفراء ومنحتهم امتيازات وحماية خاصة

● الشعوب المتحضرة زمان كانت بتشوف إن انتهاك حرمة الرسول بيؤدي لغضب الآلهة

● في الشريعة الإسلامية قواعد واضحة لحماية المبعوثين، والنبي صلى الله عليه وسلم قال للمبعوثين المسيّلين: "والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكم"

● المسلمين من وقت مبكر كانوا بيكفلوا للمبعوثين من غير المسلمين أمان وحماية لأرواحهم، وده طبقوه الخلفاء والحكام

● نوع خاص من الأمان كان اسمه "عهد الأمان" أو "الأمان الحربي":

○ بينحوه لقبيل أو عدد من الحربيين في دار الإسلام

○ بيوفرو لهم حماية السلطة الإسلامية طول مدة المهمة

○ يسمح لهم يتنقلوا ويقيموا في حدود الشريعة

- ماكانش عند المسلمين أو الفرنجة حاجة اسمها حصانة المقرّات (مباني السفارات)، ده تنظيم جديد اخترعه في العصر الحديث

مراسم استقبال المسلمين للسفراء الاجانب

- المسلمون خطّوا بروتوكولات ورسوم خاصة لاستقبال الضيوف والرسل، ومعها قواعد دقيقة وتقاليد يحرصوا عليها. علشان يظهر عظمة الدولة ويؤثروا في من يلقوهم.
- كانوا يخصصوا موازنة سنوية للإنفاق على استقبال الرسل واستضافتهم، وكلفوا موظف خاص اسمه “المهمندار” (لفظ فارسي) يكون مسؤول عن استقبالهم والعناية بهم، وشروط الوظيفة كانت إنه يكون لبق وعنده خبرة وعارف لغات.
- في كتاب صُبح الأعشى وصف تفصيلي لبروتوكول الاستقبال:

1. لو وصل رسول من ملك لحدود المملكة، نائب الجهة بيخبر السلطان بوقده ويطلب الإذن باستقباله.

2. المراسم السلطانية بتبدأ بالاستعداد والاحتشام، فإذا كان الرسول مقامه رفيع بيخرج كبار الأمراء (النائب، الحاجب...) يستقبلوه، وينزلوه في الميدان (مكان عالي مكانة الرسل).

3. لو كان أقل رتبة، بيستقبله المهمندار، والودادار يقدّم إذن الوصول، وينزله في دار الضيافة أو مكان يناسب رتبته.

4. في يوم الموكب يجتمع السلطان وأعيان المملكة (أرباب السيوف والأقلام)، ويحضّر الرسول ومعه الكتاب المرفوع؛ المهمندار يمسح الكتاب على وجه الرسول كإشارة بالسلام، بعدين يسلمه لكاتب السر عشان يقرأه السلطان.

- البروتوكول ده بيظهر التمييز والترتيب في المعاملة حسب مكانة الرسول ومن أرسله والظروف اللي جاية فيها الرسالة.

ونعرض فيما يلي بعض النماذج التي حفظتها المصادر لاستقبال المسلمين للسفراء الصليبيين :

استقبال سفارة الملك الصليبي عموري في القاهرة :

- وصلت سفارة الملك عموري للقاهرة بدعوة من وزير الخليفة العاضد - شاور، في وقت كان الخلافة الفاطمية بتموت والشهرة بين نور الدين محمود وعموري على مصر ماشية فوق وتحت.
- المؤرخ ويليام الصوري - اللي شارك شهادات شهود من السفارة وأخصهم هيو أمير قيصرية - سجّل تفاصيل الاستقبال، وكان مع الوفد جيوفري فولشير من فرسان الداوية.
- أول ما دخل الوفد طرّقوا دهاليز ضيقة وشوشها معتمة، والحراس المسلمين بالسيوف واقفين عند بوابات متتالية، والزواج المسلمون بيحيّوهم احترامًا لمرور السلطان شاور.
- بعد البوابتين الأولى والثانية، وصلوا لفناء كبير مفتوح تحت الشمس، حواليه أروقة بأعمدة متراسة وزخارف ذهبية، والأرض بأحجار ملونة؛ في النصاب أحواض رخام فيها سمك، وطُيور غريبة أكبر من أي طير كانوا يعرفوه الصليبيين.
- بعدين كملوا في مبانٍ ثانية فخمة أوي، وفيها حيوانات عجبية شكلها كأنها من خيال شاعر أو رسمة فنان.

- لما قربوا من قصر الخليفة لقوهم محاطين بجيوش من الحراس والسيوف؛ وسمحوا لهم بالجلوس في قاعة العرش.
- شاور سيق نفسه بالتبجيل: سجد أرضاً ثلاث مرات، وخلع سيفه ورماه، وقتها انتشرت الستائر وانكشف وجه الخليفة على العرش الذهبي مرصع، مع مجلس من خصيانه ومستشاريه.
- شاور عرض محتوى المعاهدة وذكر ضغط جيش نور الدين الواصل قلب مصر، وناقش شروط الحلف ضد نور الدين، والخليفة وافق مبدئياً على البرتوكول ودّى موافقة واضحة.
- الصليبيون طلبوا مصافحة الخليفة كإقرار للمعاهدة، والخليفة اتكسف في الأول وحبط المصريين، لكن بعد إلحاح شاور ومدة تفكير، مدّ يده المغطاة بالقفاز لهيو أمير قيصرية، وبالنهاية كشف يده المصافحة على مضض، وقسم على بنود المعاهدة بأمانة.
- بعد الفراق أرسل الخليفة العاضد هدايا ثمينة للوفد الصليبي، والرسل رجعوا بلادهم فرحانين وراضين عن الاستقبال الكريم والإكرام اللي لقوه.

حفل استقبال سفير الإمبراطور فريدريك الثاني في بلاط الملك الكامل الأيوبي سنة ٦٢٤ / ١٢٢٦ - ١٢٢٧م

- وصلت سفارة الإمبراطور فريدريك الثاني للقاهرة ومعها هدايا سنّية وتحف غريبة، من ضمنها خيول كثيرة وفرس الملك على مركب مرصّع بجواهر فاخرة
- الملك الكامل جهّز سلسلة إقامة من الإسكندرية لحدّ القاهرة علشان يستقبل الوفد بأبهي صورة
- استقبلهم بنفسه عند أطراف القاهرة وأكرمهم تكريم غير عادي، وأنزلهم في دار الوزير صفى الدين بن شاطر
- ردّ الجميل بإعداد هدية سنّية لملك الفرنج قيمتها أضعاف هداياهم، تضم تحف من الهند واليمن والعراق والشام ومصر والعجم
- الهدية شملت سرج من ذهب وجواهر بغير عشرة آلاف دينار مصري
- عيّن جمال الدين بن منقذ الشيزري لمرافقة السفارة وتسليم الهدية نيابة عن الملك

امتيازات السفراء الأجانب وما يفرض عليهم من التزامات

- العنصر الثالث في معاملة المسلمين للسفراء الأجانب هو الامتيازات والالتزامات اللي كانوا يمنحوها ليهم أثناء إقامتهم في دار الإسلام، بجانب حصانتهم وأمانهم.
- من أهم الامتيازات الإعفاء من الضرائب والمكوس ما دام المبعوث ما جاش للتجارة الخالصة، زي ما بيقول أبو يوسف في "الفتل المعنون": "لو قال "أنا رسول الملك ومعايها هدايا" فالهدايا دي ما عليهاش ضريبة، ولا على السلاح والرقيق والمال، إلا لو كان معه بضاعة للتجارة فالخضعة لأصل العشر بس.
- السماح للسفراء الأجانب بممارسة شعائر دينهم بحرية طبقاً للتسامح الإسلامي مع أهل الكتاب، لكن بشرط احترامهم لمقدسات المسلمين وتقاليدهم؛
- المحظورات المفروضة عليهم ما يبيعوش أو يتاجروا في الخمر، أو الخنزير، أو الربا، أو أي حاجة محرمة في دار الإسلام؛
- ما كانش مسموح لهم يخرجوا من دار الإسلام أسلحة أو رقيق أسرى حتى ما يضرش الإسلام أو يسيء استخدامهم.
- لو حصل من الرسول حاجة مرفوضة أو ما تأمنوش على تصرفاته، كان المسلمون يردّوه لبلده؛ زي موقف السلطان بيبرس مع رسول ملك الفرنج، اللي ابن واصل وصفه إنه "تأديب وحسن سياسة وردع للمعتدين وحفظ لناموس السلطنة وإقامة لحرمة المملكة".

القناصل الأفرنج : دورهم ومعاملة المسلمين لهم

- النظام القنصلي ظهر قبل نظام التمثيل الدبلوماسي الدائم، وسبب قيامه كان تطوّر التجارة الدولية وحاجة التجار لجالية تنظّم شؤونهم في بلاد غريبة.
- كل جالية فرنسية أو غربية كانت بتختار من تجارها واحد "قنصل" يهتم بمصالحهم الداخلية، من فضّ المنازعات لحدّ تسجيل العقود والصايات في "محكمة الجالية".
- مع توسّع التجارة الصليبيّة للبحر المتوسط، الراجل ده انتشر في المدن الإسلاميّة خصوصاً الساحليّة، وبين الرحالة بنيامين التيطي وجود عدد كبير من جاليات التجار الأوروبيين وقناصلهم في الإسكندرية.
- السلطات الإسلاميّة سمحت بوجود القناصل ومنحتهم امتيازات وتسهيلات رغبة في تشجيع التجارة وكسب الأرباح، رغم إنهم في الأول ماكانوش معاهم صفة رسميّة تمثّل بلادهم.

- أول تنظيم رسمي ظهر سنة 1268م في مملكة أراجون، لما منح ملكها لتجار برشلونة حق تعيين قناصل برعايتهم.
- مهام القنصل كنت تشمل:
- رعاية مواطنيه وتنظيم تجارتهم ومشاكلهم
- رئاسة "محكمة الجالية" للمنازعات الداخلية
- تصديق العقود والوصايا والصكوك
- مع الوقت وسّعوا اختصاصاته عشان "يمثل مواطنيه قدام السلطات الإسلامية"، فالسلطات ماكنتش تسمح لأي تاجر أوروبي ينزل المدينة إلا بعد موافقة القنصل وتقديم بياناته.
- القنصل كان عنده مساعد اسمه "الفندقي" يشرف على فندق الجالية ويعالج شكاويهم ويرفعها للسلطات العليا.
- كثرة الحروب والتجسس والخوف على أمن الطرق والبضائع خلى الدولة تعتمد على القناصل لحماية التجار وتنظيم معاملات الأمان معهم.
- أحياناً القناصل كانوا يشاركون غير مباشر في المفاوضات الدبلوماسية وعقد المعاهدات، ومثلوا الدولة الأوروبية كشهود على معاهدات زي معاهدة قلاون والجنوبيين سنة 1290م.
- مع أواخر العصور الوسطى بدأ النظام القنصلي يأخذ طابع رسمي كامل بتعيين الحكومات الأوروبية للقناصل، وبقي جزء من بنية العلاقات الدولية الأساسية.

الغرض من المراسلات

- كان الهدف من المراسلات الرسمية إن المسلمين يؤكّدوا الضمانات اللي بيمنحوها لسفراءهم ويقوّوا موقفهم قدام الفرنجة
- المهام اللي بتكلف بيها الرسائل دي بتنوّع بين:
- تسوية خلافات وعقد هدنة أو معاهدة
- رعاية المصالح المختلفة، خصوصاً الاقتصادية
- تدشين تحالفات سياسية أو عسكرية
- الرد على اتهامات الفرنجة بأنهم نقضوا الهدن
- تقديم تفسيرات للتصرفات السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية
- رسائل تهديد بفتح الحرب للضغط على الخصم وكسر معنوياته
- المراسلات الدبلوماسية اتسمت بأسلوب رفيع ودقة في التعبير وبرعة في البيان، وكان ليها قواعد وقوانين خاصة بتحكم شكلها ومضمونها حسب الظروف اللي بتتبعث فيها
- عشان كده، خصّص المسلمون جهاز إداري في الدولة مهمته إعداد الرسائل وكتابتها والردّ على المراسلات الواردة من الخارج

ديوان الانشاء والمراسلات الدبلوماسية

- ديوان الإنشاء كان الجهاز الإداري المسؤول عن كل المراسلات الرسمية للدولة، بما فيها المراسلات الدبلوماسية، وكان منظّم وشديد الحزم.
- اشتغل فيه موظفون مدربون لازم يتّصفوا بالدقة والالتزام في كل مرحلة من الكتابة والتحرير.
- ظهرت عنهم "دساتير" لضبط العمل، ومن أهمها:
- كتاب التعريف بالمصطلح الشريف للشهاب الدين بن فضل الله العمري (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٩م)
- كتاب التثقيف
- كتاب صبح الأعشى للقلقشندي
- الدساتير دي فسّرت بالتفصيل:
- المؤهلات المطلوبة في الكتاب (الثقافة، السياسة، أخلاق، عربية فصيحة)
- التنظيم الإداري للديوان وسير العمل
- القواعد والرسوم المتبعة في الصياغة حسب مكانة المرسل إليه وموضوع الرسالة
- كان في الديوان طبقتين أساسيتين من الكتاب:

1. كتاب الدست: اللي بيعدّوا الصيغ الرسمية للملوك والأمراء (المراسلات والمعاهدات).

2. كتاب الدرج: اللي بينسخوا الأوراق اللي وقّعها كاتب الدست ويدخلوها في الدروج.

- دور المراجعين كان فحص النصوص لتلافي السهو والخطأ اللغوي قبل الإرسال.
- سجّلوا الأحداث الكبرى في دفتر خاص مرجع ليهم عند الحاجة، وصنّفوا الرسائل والموضوعات في أصابير مع

- بطاقات وإشارات تساعد الرجوع إليها بسرعة.
- بعد ما يجهزوا الرسالة، كانت تروح للخازن ("الأمسول") اللي لازم يكون أمين وذو ثقة عالية علشان يحتفظ بالنسخ في أرشيف الديوان.
- النصاب بالمكاتبات:
- استخدموا الورق البغدادي الأبيض للمراسلات العادية، والورق الأصفر لكتب التعزية
- حددوا نوع القلم والخطوط ومقدار البياض بين السطور بدقة
- كانت العربية لغة الدبلوماسية عند المسلمين، والرسائل الواردة بالفرنسي تُرفق معها ترجمة يكتبها المترجمان في ورقة ملصوقة عليها، وبعدها الكاتب يردّ استناداً للنص المعرب.
- حرصوا يكون عندهم موظفين خاصين بالترجمة يُعرفوا اللغات الأجنبية، ويفحصوا الختم أصلي ورسمي قبل يفكّوا الرسالة ويترجموها.
- جهّزوا دفتر ألقاب لكل مسؤولي الدول الأجنبية (البابا، الملوك، القناصل، دوك البندقية...) مع صيغ الدعاء المناسبة لكل لقب، علشان ما يغلطوش في مخاطبتهم.
- شدّد القلقشندي وغيرهم على إن أي خروج عن القواعد الرسمية يفضح الكاتب والسلطان نفسه ويفسد المقصد الدبلوماسي.

الفصل الثاني

العلاقات الدينية بين الشرق والغرب

الأصول التاريخية للعلاقات الكنسية بين روما والقسطنطينية

- العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية هي في الأساس علاقة بين حضارة الغرب وحضارة الشرق، مش مجرد اختلاف طقوس وتنظيم كنيسي.
- العالم المسيحي الأول كان وحدة سياسية وثقافية واقتصادية تحت الإمبراطورية الرومانية ولغة مشتركة (اليونانية والرومانية)، لكن من أواخر القرن الثالث الميلادي انقسمت الإمبراطورية لشرق وغرب، واختلقت الحضارتين واللغتين (اليونانية الرقيقة في الشرق، واللاتينية الأصعب في الغرب).
- غياب لغة وفهم مشترك خلى كل طرف يشوف الحقائق العقائدية من زاويته، وسوء الترجمة عمق الخلاف.
- القرن الرابع الميلادي كان حاسم:
- مرسوم ميلان (313م) حرّر المسيحية وحطّها على قدم المساواة مع الأديان الوثنية.
- مجمع نيقية (325م) صاغ قانون الإيمان النيقاوي واعترف بكرسيات روما والإسكندرية وأنطاكية.
- تأسيس القسطنطينية (330م) كرّسها كـ"روما الجديدة"، فجمع القسطنطينية الثاني (381م) رفع مرتبة بطريركها بعد روما مباشرة، وده استقز روما والإسكندرية.
- البابا داماسيوس (366–384م) عقد مجمع محلي في روما (382م) رفض فيه ترقية القسطنطينية وأكد الأولوية التاريخية لروما.
- النظرية البطرسية ظهرت بقوة: روما أقدم كرسي لأن الرسول بطرس أسسها وهو "خليفة بطرس" ويديه مفاتيح السماء وسلطة العقد والحل.
- مجمع خلقيدونية (451م) منح بطريرك القسطنطينية امتيازات مساوية لروما وأقرّ خمس بطارقة: روما، القسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكية، وبيت المقدس، فرفضت البابوية ده كتهديد لبطرسية روما.
- سقوط الغرب القديم تحت غزو البرابرة أواخر القرن الخامس فعلاً حطّم الوحدة السياسية الغربية، لكن الكنيسة بقيت هي السلطة الوحيدة المستقرة، فتعاظم دور البابا سياسياً وتشريعياً، وبقي هو "الإمبراطور الروحي" في الغرب.

الاختلافات الدينية بين روما والقسطنطينية

- العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية هي في الجوهر صدام بين حضارة الغرب وحضارة الشرق مش بس اختلاف طقوس وتنظيم
- العالم المسيحي الأول كان موحد سياسياً وثقافياً في ظل الإمبراطورية الرومانية ولغته المشتركة (اليونانية-اللاتينية)، لكن من أواخر القرن الثالث الميلادي انقسمت لشرقية وغربية، واختلقت الحضارات (اليونانية المرنة في الشرق واللاتينية الصارمة في الغرب)

- غياب لغة مشتركة وسوء الترجمة عمقا الهوة فكل طرف كان يبشوف العقيدة من زاويته الخاصة
- القرن الرابع كان نقطة تحول:
- مجمع نيقية (325م) رسخ قانون الإيمان واعتبر المجامع المسكونية سلطة عقائدية عليا
- تأسيس القسطنطينية (330م) ودعم مجمع القسطنطينية الثاني (381م) مكانة بطريركها بعد روما
- روما ردت بعقد مجمع محلي في 382م رفض ترقية القسطنطينية وأكدت إن السلطة المطلقة للبابا خليفة بطرس مش للمجامع
- الاختلافات الجوهرية:
- القسطنطينية: المجامع ملهمة، والبطريرك ممكن يخطئ، والكنيسة في خدمة الإمبراطورية، والنقاش الفلسفي في الدين مسموح
- روما: عصمة البابا مطلقة، الدولة داخل الكنيسة لا العكس، ورفض أي نقاش عقائدي حتى في القضايا الثانوية
- مجمع خلقيدونية (451م) منح بطريرك القسطنطينية امتيازات مساوية لروما وأقر خمس بطارقة، فاستاءت البابوية واعتبرته انتهاكاً للبطرسيّة
- سقوط الغرب بأيدي البرابرة أواخر القرن الخامس دمر السلطة السياسية ورفع مكانة البابا؛ والفتح الإسلامي للشرق الأوسط سبب تركيز السلطة المسيحية الشرقية في القسطنطينية بعكس الإسكندرية وبيت المقدس
- لقب “المسكوني” اللي أخذه بطريرك القسطنطينية اعتبرته روما ادعاء برئاسة الكنيسة كلها، بينما القسطنطينية كانت قصده شرفي بحت
- في النهاية بقي الصراع محصور بين روما والقسطنطينية على قيادة العالم المسيحي، وكل واحد ربط الدين بمفهومه الحضاري الخاص.

تأجج الصراع

- في القرن الثامن، سياسة تحطيم الأيقونات اللي بدأها الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري خلّت العلاقة بين روما والقسطنطينية في خطر كبير
- رغم إن الإمبراطور ما فرضش سياسته دي على المقاطعات الغربية مباشرة، لكن السخط انتشر في إيطاليا، والبابوية شافت فيها فرصة للتدخل في شؤون الكنيسة الشرقية
- كثير من رجال الدين الشرقيين، زي القديس يوحنا الدمشقي، عارضوا تحطيم الأيقونات وأملوا دعم روما
- البابا جريجوري الثالث (731–741م) عقد مجمع في روما سنة 731م وحرم كل من إهانه الأيقونات، وردّ ليو الثالث بحرمان أسقف روما من دخل أوقافه في كالابريا وصقلية ونقل كنائس هاتين المنطقتين وجزر سردينيا إلى القسطنطينية
- لما زادت تهديدات اللومبارد في النصف الثاني من القرن الثامن والبيزنطيين ما قدروا يصدّوه، والبابوية زعلت من بيزنطة لأنها أمسكت بكنائس غربية، راحت البابوية للفرجة تطلب عونهم
- التحالف وصل ذروته بتتويج شارلمان إمبراطور في روما يوم عيد الميلاد سنة 800م على يد البابا ليو الثالث (795–816م)
- تتويج شارلمان كان بمثابة طعنة قوية للبيزنطيين:
- هما دايماً متمسكين بوحدة الإمبراطورية الرومانية
- شافوا الفرجة “بربر” وما اعترفوا بشارلمان ولا اعتبروه سوى “مدعي” على العرش الإمبراطوري
- بالمقابل هما شافوا البابا متمرد لأنه نصب إمبراطور جديد
- مع بداية القرن التاسع، رغم انتصار البابوية بتتويج شارلمان، بدأت تظهر أزمة أكبر بين روما والقسطنطينية، وهي أزمة فوتيوس (قطيعة فوتيوس) ومسألة الكنيسة البلغارية

قطيعة فوتيوس

- سنة 847م الإمبراطورة ثيودورا عيّنت أغناطيوس بطريرك على كنيسة القسطنطينية، رغم تحفظات روحه الضيقة وتزمتة
- أغناطيوس بدأ عمله بعزل جريجوري رئيس أساقفة سيراكوزة بثهم شاذة، وده خلا البابوية تستدعي جريجوري لروما وتدخل في شؤون البطريركية الشرقية
- أغناطيوس رفض يسمح لروما تعرف تفاصيل مجلس عزله لجريجوري، فاشتعل النزاع بين القسطنطينية وروما
- سنة 858م خلّع الإمبراطور ميخائيل الثاني أغناطيوس وانتخب الأسقف العالماني فوتيوس بطريرك مكانه، وخرّجوه يترسم في آيا صوفيا بسلام
- فوتيوس بعث رسائل للبطارقة وللبابا نيقولا الأول يعلن انتخابه وإيمانه، متوقّع الدعم ضد أغناطيوس بسبب عدا الأخير لروما

• البابا نيقولا استغل الأزمة وحضّ ممثليه في مجمع قسطنطينية (861م) يخلعوا أغناطيوس ويعترفوا بفوتيوس، لكنهم ما قدرّوش يستردوا مقاطعات كالابريا وإيليريا

• نيقولا أرجأ الاعتراف الكامل بفوتيوس لحد ما يستردّ المقاطعات دي، وفوتيوس رفض يدفع الثمن الباهظ ده

• سنة 863م روما عقدت مجمع محلي في روما وأعادت الاعتراف بأغناطيوس بطريرك شرعي وأبطلت صفة فوتيوس

• قضية الكنيسة البلغارية زادت الأزمة: الأمير بورس طلب استقلال كنيسة بلغاريا وتعيين بطريرك بلغاري، لكن القسطنطينية رفضت فراح بورس لروما

• البعثات البابوية في بلغاريا هاجمت تعاليم البيزنطيين وضغطت لإضافة "Filioque" لقانون الإيمان، وفوتيوس هاجم الإضافة باعتبارها انتهاك لعقيدة نيقية

• سنة 867م انقلاب في القسطنطينية قلب الطاولة: ميخائيل الثالث قُتل وباسيل الأول خلّع فوتيوس ورد أغناطيوس للبطريركية، ومجمع 869م أدان فوتيوس ولعنه

• رغم انتصار روما الظاهر، بورس رجع للسلطوت البيزنطية 870م لما ما لاقاش شروط أفضل، وألغى البعثات الكاثوليكية ودعا الأساقفة الأرثوذكس

• سنة 877م فوتيوس رجع للبطريركية بعد وفاة أغناطيوس، والبابا يوحنا الثامن (872-882م) اعترف به رسمياً (من غير تأكيد "Filioque" ولا فرض البطرسية)، لأنه خاف يهدد وحدة المسيحيين

• رغم استمرار التواصل بعد فوتيوس لغاية وفاته 897م، الأزمة حوالين "Filioque" خلت الخلاف بيرد بس ما يروحش خالص، وبقت الإضافة دي عقبة أساسية أي محاولة توحيد بين الكنيستين.

أحمد كرم

القطيعة الشرقية عام ١٠٥٤م ونتاجها

• نهاية صراع فوتيوس وروما آخر القرن التاسع كانت بتسوية مؤقتة فحلّش كل الخلافات العقدية، لكنها جهّزت الأرض لصراع أعمق بعد كده.

- في القرن العاشر العلاقات بين القسطنطينية وروما كانت هادية نسبياً لأن:
- بيزنطة كانت مشغولة بفتوحات الأسرة المقدونية في البلقان والشام والبحر المتوسط
- البابوية كانت منهارة شوية بسبب تسلّط العلمانيين على كراسي كنيسة القديس بطرس
- قيام الإمبراطورية الرومانية المقدسة على يد الساكسونيين في ألمانيا نصّب الألمان قوّة جديدة في إيطاليا، وده كانت القسطنطينية شايفها خطر عقاندي لأن الألمان كانوا مصرّين على إضافة "Filioque" للعقيدة النيقية
- فتوحات المقدونيين في أواخر القرن العاشر وبداية الحادي عشر وقّرت غرب أوروبا طريق أمن للحج للأراضي المقدسة برا وبحر:

- حركات الإصلاح الديني زي حركة كلونية شجّعت منظّمة الحج
- عدد الحجاج اللاتين زاد جداً ودهم في القسطنطينية ارتفع لأسباب اقتصادية
- بالمقابل أعداد بيزنطيين المسافرين لإيطاليا ورحلاتهم لروما زادت لحج أضرحة القديسين بطرس وبولس

أثر الحركة الصليبية على قضية الوحدة

الأسباب المباشرة اللي أثّرت على الوحدة بين الكنيستين في القرن الـ12:

- تصرفات الصليبيين أثناء مرورهم بالأراضي البيزنطية.
- تأسيس الإمارات الصليبية في أراضي بتعتبرها بيزنطة مملوكة ليها، زي أنطاكية.
- الصراع بين البيزنطيين والنورمانديين على أنطاكية.

- خلع البطريرك الأرثوذكسي في أنطاكية.
- سياسة الكتلة التي طبقها الصليبيون في بيت المقدس وأنطاكية على حساب النفوذ البيزنطي.
- دعم البابوية لحملة يوهيموند ضد بيزنطة.

الأسباب العقائدية العميقة:

- قضية الإضافة إلى قانون الإيمان النيقاوي (كلمة "ومن الابن" - Filioque):
 - فشلت الكنيستين (اللاتينية والبيزنطية) في حل الخلاف ده.
- قضية السمو البابوي المبني على النظرية البطرسية.
- كل طرف متمسك برأيه في المسائل العقائدية ومفیش أي استعداد للتنازل حتى عن القليل.

فشل المحادثات:

- المفاوضات بخصوص الوحدة كانت بتدور في حلقة مفرغة وعديمة الجدوى.
- الإمبراطور والبابا لما بدأوا يطرحوا الموضوع بشكل جدي كانوا خائفين من اتفاقية فارغة من المضمون.
- كل واحد فيهم يهيكل مین هيبقى السيد لو حصلت الوحدة: الإمبراطور ولا البابا؟.
- الاختلاف بين النظرية البابوية والنظرية الإمبراطورية خلى الوحدة بين الكنيستين مستحيلة.
- النتيجة الوحيدة للمفاوضات دي كانت إنها زادت الخلاف عمق وأكدت استحالة الوحدة بين الكنيستين.

بعض تأثيرات الحملة الصليبية الرابعة على العلاقات الكنسية

تصاعد العداء بين روما والقسطنطينية من منتصف القرن الـ12:

- العلاقات بين الشعبين اللاتيني والإغريقي (البيزنطي) بدأت تتجه ناحية العداء الشديد من منتصف القرن 12.
- العداء الشعبي ده بدأ من خلال الحملات الصليبية وزاد مع استمرارها وتوضّح نتائجها في عقول الشعوب المسيحية في الشرق والغرب.

أسباب عداء اللاتين للبيزنطيين:

- اعتقادهم إن البيزنطيين مسؤولين عن الصعوبات التي واجهت الحملة الصليبية الأولى.
- تحميل الإمبراطور البيزنطي مسؤولية كارثة حملة سنة 1101م.
- كراهية اللاتين لموقف يوحنا كومنين في تهديد أنطاكية وإذلال ريموند من بواتييه سنة 1137م.
- شعور اللاتين بالإذلال من موقف أرناط في المصيصة سنة 1158م.
- اعتقادهم إن فشل الحملة الصليبية الثانية كان بسبب مؤامرة بيزنطية.

أسباب عداة البيزنطيين لللاتين:

- ما نسيوش إن روما دعت جويسكارد لغزو بيزنطة (1081-1085م).
- ما نسيوش إن جريجوري السابع حرّم ألكسيوس كومنين من الكنيسة.
- ما نسيوش دعم البابا باسكال الثاني لحملة بوهيموند (1107-1108م).
- ما نسيوش اغتصاب أنطاكية وطرّد البطريك الأرثوذكسي منها.
- ما نسيوش قرار البابا إنوسنت الثاني الذي دعا فيه اللاتين للانسحاب من جيش يوحنا كومنين لو هدد أنطاكية.
- ما نسيوش غارة أرباط على قبرص التي وصفوها بالبربرية.
- ما نسيوش إن تحالف أوروبي اتكوّن ضدهم سنة 1150م يدعم من البابا ورجال الدين الغربيين.

تأثير العداة الشعبي على علاقة الكنيستين:

- البابا كان واعي بمشاعر اللاتين وشايف نفسه زعيمهم الروحي.
- البطريك البيزنطي كان حاسس بكراهية الإغريق (البيزنطيين) تجاه اللاتين.
- بالتالي العداة الشعبي انعكس على العلاقة بين الكنيستين بشكل مباشر.

دور التجار اللاتين:

- التجار اللاتين كَوّنوا جاليات غنية في المدن الكبرى بالإمبراطورية البيزنطية.

- نظروا للبيزنطيين بازدراء.
- البيزنطيين نظروا لهم بحسد وحقد واعتبروا الجاليات دي مستعمرات اقتصادية بتضطهدهم عن طريق السوق والمصارف.

سياسة الإمبراطور مانويل كومنين (1143-1180م):

- دعمت وجود التجار والسياسيين اللاتين في الإمبراطورية.
- زوّدت العداء الشعبي ضدهم ودفعت الوضع ناحية الانفجار.

فترة الوصاية بعد وفاة مانويل:

- ماريا الأنطاكية (زوجته اللاتينية) ومستشارها حكموا بالوصاية.
- اللاتين وصلوا لأعلى المناصب في الدولة البيزنطية.
- الشعب البيزنطي اعتبر الحكومة دي حكومة لاتينية.
- حصلت حركات شعبية لمحاولة القضاء على الوضع ده لكنها فشلت.

مجزرة اللاتين في القسطنطينية (1182م)

الإمبراطور "أندريق كومنين" استغل كراهية الشعب البيزنطي للحكومة وللجاليات اللاتينية (خصوصًا التجار الإيطاليين) اللي كانوا واخدين مكانة كبيرة في العاصمة. لما دخل الإمبراطور، الشعب شافه منقذ وبدأوا بثورة دموية ضد اللاتين: قتلوا رجال دين، سنات، عيال، شيوخ، وحتى المندوب البابوي اللي كان هناك.

وبعد كده اللاتين اللي نجوا من المذبحة، انتقموا هم كمان: راحوا على الأديرة والكنائس وقتلوا القساوسة والرهبان البيزنطيين.

رد فعل الغرب

الغرب كله اتصدم من المجازر دي، خصوصًا البابوية، وبدأت الناس تشوف اللي حصل على إنه "قصاص رباني" أو عقاب على الحروب المقدسة اللي نادى بيها اللاتين ضد بيزنطة زمان. ابن جبير مثلاً شاف إن اللي حصل نتيجة الانقسام الديني بين الكنيستين، وكمان "وليام الصوري" قال نفس الكلام.

حملة النورمان على تسالونيك (1185م)

بعد ٣ سنين، جات حملة نورمانية على مدينة تسالونيك، وعملت اللي البيزنطيين عملوه في القسطنطينية، بس بشكل أشنع وأفسى، وكان فيه استهداف متعمد للدين: قتلوا الناس جوا الكنيسة، حرقوا الأيقونات، ورقصوا على المذابح — استفزاز ديني كامل.

جزيرة قبرص والصليبية الثالثة

في الحملة الصليبية الثالثة، اللاتين سيطروا على جزيرة قبرص وعينوا رجال دين لاتين فوق رجال الدين الإغريق، وده خلى العداء يزيد. والناس في الجزيرة ما تخلصوش من السيطرة دي إلا في القرن الـ 16 على يد العثمانيين.

تطرف الفكر الديني في بيزنطة

مع تزايد العداء، الكتابات الدينية في بيزنطة بقت متطرفة أكثر، ومن أهم الشخصيات كان "ثيودور بلسامون" اللي اعتبر إن الإمبراطور البيزنطي أعلى من البابا، ورفض تمامًا أي خضوع للكنيسة الرومانية، وقال بوضوح: "مينفعش مناولة اللاتين في الأسرار المقدسة" — ودي كانت إشارة قوية على كراهية دينية واضحة.

الحملة الصليبية الرابعة (1203 - 1204م)

دي كانت القشة اللي قصمت ظهر البعير، لأنه بدل ما الحملة تتوجه للمسلمين أو الأراضي المقدسة، راحت على مدن مسيحية زي "زارا" و"القسطنطينية" نفسها! البابا أنوسنت الثالث حاول يمنعهم، لكن مقدرش يسيطر عليهم، والصليبيين فعلاً خربوا "زارا"، وده كان شيء صادم لإنهم بيحملوا الصليب وبيهاجموا مسيحيين زيهم.

الخلاصة:

اللي حصل في أواخر القرن الـ 12 وبداية الـ 13 هو تراكم لحقد شعبي، وديني، وسياسي، بين اللاتين والبيزنطيين، وكل حاجة كانت بتتطور تدريجيًا من خلاف ديني لاختلاف سياسي لحد ما انفجر الصراع ووصل لدرجة غزو وخراب القسطنطينية نفسها على يد الصليبيين.

احتلال مدينة زارا

البابا اينوسنت اتجنن لما عرف إن الصليبيين احتلوا مدينة زارا، رغم إنها مدينة مسيحية، وكمان هو كان منعهم يعملوا كده. قرر يحرمهم من الكنيسة هو والبنادقة (اللي هم جنود بحرية من فينيسيا)، بس الصليبيين اتحايلوا عليه ورفع الحرمان عنهم، لكن ساب البنادقة محرومين.

الطريف بقي؟

رغم إنه رفع الحرمان عن الصليبيين، ما منعهمش يشتغلوا مع البنادقة المحرومين، وكان كأنه بيوحي ليهم يفضلوا متحدين!

بعد كده حصلت حكاية "أليكزيوس الرابع"

ده أمير بيزنطي اتخلع من الحكم، وطلب مساعدة الصليبيين عشان يرجع تاني. الملك فيليب من سوابيا بعت للبابا وقاله يساعده.

هنا فيه خلاف بين المؤرخين:

- مؤرخ مجهول من موريا قال إن البابا وافق، وبعث للصليبيين قالهم روحوا القسطنطينية وساعدوه، واللي يموت في الحملة دي يعتبر شهيد كأنه مات جنب قبر المسيح!
- مؤرخ تاني اسمه فيلهاردوان قال العكس، قال إن مندوب البابا اعترض بشدة وقالهم كده بيقى بنحارب مسيحيين!
- مؤرخ ثالث اسمه روبرت كلاري قال إن الأساقفة اللي مع الحملة أفتوا إن الذهاب للقسطنطينية شرعي.

مصايب احتلال القسطنطينية

اللي وجع قلب البيزنطيين فعلاً مش بس الاحتلال، لكن نهب كنيسة آيا صوفيا بالكامل، وحرقوا الأيقونات والمخطوطات والكتب المقدسة.

البابا كان مصدوم من فكرة إن جنود المسيح يحاربوا مسيحيين زيهم، لكنه في الآخر رضخ للأمر الواقع.

وبعد الاحتلال:

- الصليبيين اختاروا بلدوين إمبراطور.

- ومورسيني البندقي بقى بطريرك لاتيني على القسطنطينية.

- البطريرك البيزنطي الشرعي هرب لنيقية.

البابا حاول يرضي الكل

هو فهم إنه مش هيقدر يغير عقيدة شعب كامل، فبدأ يوصي باللين في تعيين الأساقفة وما يكونوش كلهم لاتين. وبعث مندوب يحمل نص قسم لازم الأساقفة البيزنطيين يقولوه عشان يعترفوا بسيادة روما.

لكن؟

الأساقفة الأرثوذكس صعدوا ورفضوا، وراحوا نيقية وعملوا هناك إمبراطورية بيزنطية بديلة، واختاروا بطريرك شرعي جديد.

النهاية: البيزنطيين رجعوا

فضلت القسطنطينية تحت الاحتلال اللاتيني لحد سنة 1261م، وبعدها رجع البيزنطيين لحكمهم والكنيسة رجعت أرثوذكسية.

خلاصة الموضوع:

- الحملة الرابعة كانت نتيجة أطماع سياسية واقتصادية من الغرب في بيزنطة.
- البابا قدر يحقق حلم إنه يحط بطريرك لاتيني على آيا صوفيا، لكن الحلم ده ماکملش نص قرن.
- الحملة دي زادت الانقسام بين الكنيستين الشرقية والغربية.
- البيزنطيين مش نسيوها أبداً، وشافوا إن البابوية هي اللي كانت وراها.

خلفية العداء بين الغرب والبيزنطيين

من بداية القرن الـ12، الدوائر الكنسية في أوروبا الغربية بقت شافية إن بيزنطة (الإمبراطورية البيزنطية) هي العدو الرئيسي للصليبيين.

وده بدأ يتكوّن من بعد فشل حملة صليبية سنة 1101م، ومن ساعتها بقي فيه اقتناع إن أي حملة جاية لازم تحل "المسألة البيزنطية" يعني تسيطر على القسطنطينية.

شواهد الكراهية ضد بيزنطة:

- البابا باسكال الثاني أيد حملة بوهيموند على بيزنطة سنة 1107م.
 - الأسقف لانجر في الحملة الثانية قال إن القسطنطينية مسيحية بالاسم بس، واعتبر الإمبراطور البيزنطي عدو للقديس بطرس!
 - القديس برنارد دعا سنة 1150م الأوروبيين يهاجموا بيزنطة ويسيطروا على القسطنطينية.
- يعني ببساطة، الغرب الكاثوليكي بقي شايف إن الاستيلاء على القسطنطينية هدف مشروع ديني وسياسي.

طيب هل ده كان لمصلحة المسيحية؟

النص ببسأل سؤال مهم:

"هل فعلاً ده كان في مصلحة الدين المسيحي؟ هل كان هدف ديني حقيقي ولا مجرد أطماع؟"

اللي حصل في الحملة الرابعة كان عكس اللي كان بيعمله الرسل الأوائل، اللي نشروا المسيحية بين الوثنيين بالحب والكلمة، مش بالسيف.

أحمد كرم

نتائج الحملة الصليبية الرابعة:

- بيزنطة اتقسمت، والقسطنطينية انتهت.
- انقطعت كل أمل في الوحدة بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية.
- الشعبين المسيحيين – الشرقي والغربي – مشي كل واحد في طريق مختلف لحد العصور الحديثة.

الخلاصة:

- مش شرط إن البابوية كانت المخططة لتحويل الحملة للقسطنطينية، بس كثير من قادة الحملة كانوا مقتنعين إن البابا هيبارك الخطوة دي.
- من الناحية الثانية، البيزنطيين كانوا مقتنعين إن اللي حصل كان بتوجيه من البابا.
- والنتيجة؟ انشقاق نهائي بين الكنيستين زاد الصراع والتوتر بينهم لقرون طويلة.

الفصل الثالث

العلاقات التجارية بين الشرق والغرب

- نجاح اقتصاد العالم في العصور الوسطى يُنسب إلى تطور التجارة والتبادل الدولي للبضائع بين الشرق والغرب.
 - هذا التطور التجاري أدى إلى زيادة كبيرة في الدخل القومي في بعض المناطق لم يشهدها العالم من قبل.
 - الانقلاب الاقتصادي في العصور الوسطى لم يحدث في ظل النظام الإقطاعي الزراعي الجامد في غرب أوروبا.
 - بل حدث بسبب الحركة المستمرة للتجارة والصناعة التي كانت متوارثة في معظم دول شرق البحر الأبيض المتوسط.
 - خريطة العالم الاقتصادي في العصور الوسطى تنقسم لـ3 أقسام رئيسية مرت بمراحل متعاقبة من بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية وحتى بداية العصر الحديث:
1. **الإمبراطورية البيزنطية:** سيطرت على السوق المالية من القرن الخامس الميلادي حتى أواخر القرن السابع.
 2. **النشاط العربي:** كان في أوج قوته خلال أواسط العصور الوسطى، من بداية القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر.
 3. **نشأة التجارة في جنوب أوروبا:** حصلت في أواخر العصور الوسطى، وكانت مرتبطة بتطور القوة البحرية والصناعة في شمال وجنوب أوروبا.
- كل إقليم وكل مرحلة من دول ومناطق العالم دي كان لها خصائص معينة حكمت مجرى الأحداث في الوقت الذي سادت فيه.
 - من المهم دراسة الخصائص دي علشان نفهم أصل التجارة في العصور الوسطى، وخصوصاً مع التركيز على دور الشرق الأوسط.

انهيار الإمبراطورية الرومانية والتجارة الدولية

المرحلة الأولى: انهيار الإمبراطورية الرومانية وتأثيره على التجارة

- بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية وتدفق الجرمان للغرب، حصل اضطراب كبير في التجارة القديمة مع الشرق عبر البحر المتوسط.
- رغم إن التجارة الدولية ما انقرضت تماماً بعد غزوات الهمج، لكنها توقفت مؤقتاً في بداية العصور الوسطى.
- لما رجع السلام نسبياً، رجعت المعاملات التجارية لكن بمعدلات ضعيفة جداً.
- التجارة الدولية اتعرضت لضربة قوية لكن ما انتهت تماماً في غرب أوروبا.

استمرار الإمبراطورية البيزنطية ونقل مركز الثقل التجاري

- انتقال مركز الثقل من روما إلى القسطنطينية بسبب موقعها الجغرافي الذي ييسر الوصول من كل قارات العالم القديم برًا وبحرًا.
- القسطنطينية أصبحت مركز التجارة العالمي، والدليل إن العملة الذهبية الشرقية "النومسما" Nomisma حلت محل العملة الغربية "سوليدس" Soldius كوسيلة للتبادل التجاري.

السلع التي تدفقت على القسطنطينية:

- حرير وأواني صينية من الصين
- توابل وجواهر من الهند
- سجاد من بلاد فارس
- لآلئ من الخليج الفارسي
- عاج وأبنوس من أفريقيا
- نسيج وحبوب من مصر
- زجاج وصلب من سوريا
- غراء وعنبر من روسيا
- مصنوعات جلدية من مراكش
- عبيد من كل أنحاء العالم

أحمد كرم

الصناعة والفنون في القسطنطينية:

- تطورت صناعات زي العطور، الملابس المطرزة، البروكار، ملابس الكهنة، الحفر على العاج، الموزايكو، المجوهرات، الطلاء بالمينا، الصلبان، وتجليد الكتب.
- القسطنطينية كانت سوق للسلع الفاخرة، وأثرياء العالم كانوا يبرحوا يشتروا منها.

التنظيم التجاري في الدولة البيزنطية:

- الدولة وضعت قوانين منظمة للتجارة والصناعة تحمي البائع والمشتري وحقوق الدولة.

- كتاب "رئيس المقاطعة" (Book of the Prefect) في القرن التاسع ضم قوانين منظمة للأسواق، الصناعات، التجارة، المقرضين، ورجال البنوك.
- القوانين دي كانت مستمدة من كتاب "المدير" (Book of the Intendant) والكتاب العربي "كتاب الحسبة".

الغرب الأوروبي في نفس الفترة:

- قيام دول جديدة اعتمد على تملك الأراضي الزراعية.
- التجارة ما كانتش محرمة، لكن الكنيسة كانت شايقة إنها نوع من الربا الفاحش.
- المعاملات التجارية اقتصرت على المقايضة للسلع الضرورية.
- العملات كانت نادرة جدًا ومالهاش دور مهم في التجارة.
- خلال حكم الميروفنجيين والكارولينجيين، التجارة الدولية كانت أضعف من التجارة المحلية.

التجار السوريين واليهود:

- السوريين (سلالة الفينيقيين) كانوا ماهرين في البحر والتجارة مهنتهم الأساسية.
- اليهود كانوا محرومين من تملك الأراضي فاتجهوا للتجارة والأعمال المصرفية.
- في اللاتينية، كلمة "تاجر" كانت مرادفة لـ "يهودي".

حالة السوق والبنية التحتية:

- الأسواق كانت قليلة ومتباعدة.
- الأغنياء القادرين على الشراء كانوا قلة.
- المدن الرومانية اندثرت وظهرت بدلها قرى صغيرة.
- الطرق الرومانية القديمة تهالكت، وما بقي منها لا يصلح إلا لسير الحيوانات.
- الجسور كانت مدمرة، والسفر مليان مخاطر والطرق مليانة لصوص.

- الاستثمارات كانت ضعيفة بسبب قلة المال، خصوصاً بعد اختفاء العملة الذهبية وظهور الفضة بكميات محدودة من الكارولينجيين.

ملاحظة ختامية:

- انتعاش المدن والصناعة والتجارة في أوروبا ما حصلش غير في عصور متأخرة بعد المرحلة دي.

المرحلة الثانية من قصة التجارة في العصور الوسطى

أول حاجة: الغزو العربي وانتشارهم

في القرن السابع، العرب ابتدوا يغزوا الشواطئ الشرقية لآسيا وسواحل شمال أفريقيا. بعد كده في القرن الثامن، العرب بدأوا يمدوا سيطرتهم ناحية البحر التيراني (اللي هو بين إيطاليا والجزر اللي حوالها). وده عمل تهديد كبير للتجارة في البحر الأبيض المتوسط. واحد من أشهر الأحداث كان في سنة 711م، لما طارق بن زياد غزا إسبانيا، وهزم الملك رoderik القوطي، وسمي الجبل اللي نزل منه بجبل طارق.

الغارات على الجزر

من سنة 648 لـ 652م، العرب بدأوا يغزوا جزر زي قبرص ورودس. وبعدين سنة 717 و718م سيطروا على رودس، وبعدها قبرص استسلمت. وبحلول سنة 798م، الأمويين في الأندلس سيطروا على جزر البليار. سنة 809م، الأغالية (دولة إسلامية في شمال أفريقيا) احتلوا كورسيكا وسردينيا.

وصقلية، رغم إنها قاومت كتير، الأغالية استمروا في الهجمات من 827 لحد حوالي 902م، وسيطروا عليها كلها تقريباً ما عدا قلعة واحدة اسمها Tabrmina.

الهجمات على إيطاليا

من صقلية، القوات الإسلامية شنت غارات على مناطق في إيطاليا، زي جايتا وسالرنو، ووصلوا لحدود روما. البابا جون الثامن وقتها اضطر يدفع 25,000 قطعة فضية علشان يشتري السلام ويمنع الهجوم.

حتى المدن الشمالية زي بيزا اتعرضت للغارات سنة 935م، وكان فيه قواعد إسلامية قوية في باري وترنتو منعت حركة السفن المسيحية في بحر الأدرياتيک.

البحر الأبيض المتوسط بقى بحيرة عربية

يعني العرب بقوا مسيطرين على البحر كله، بقى شبه مقفول في وش المسيحيين، لكن مفتوح لتجارة كل البلاد الإسلامية.

ده خلّى الاقتصاد العربي ينمو بشكل كبير، وظهر ازدهار في مدن زي بغداد والقاهرة وقرطبة، اللي بدأوا ياخدوا مكان القسطنطينية في التجارة.

التجارة العربية وطرقها

السفن من الهند كانت ترسو في الخليج العربي والبحر الأحمر، والقوافل كانت بتمر عبر آسيا كلها، من الصين لحد حدود الدولة العربية. وكان فيه حدود بتلامس بحر قزوين والبحر الأسود، فبقى فيه طرق تجارية بتوصل لأوروبا الشرقية وشمال روسيا.

العملة العربية

في نهاية القرن السابع، العرب سكوا عملة خاصة بيهم: الدينار الذهبي والدرهم الفضي. وبدأت تنافس العملة البيزنطية في المعاملات الدولية.

الخلفاء كمان كانوا بيهتموا بالتجار ويوفروا ليهم الأمان في الطرق علشان التجارة تمشي بشكل آمن.

الثروة العربية في القرنين التاسع والعاشر

من القرن التاسع، التجارة بقت تتجه ناحية مراكز العرب. مدن زي حلب ودمشق وبيت المقدس كان بيجيلها دخل تجاري ضخمة. وفي الأندلس، قرطبة تحت حكم عبد الرحمن الثالث كان عندها دخل تجاري خيالي (يعادل ٩٥,٠٠٠ دولار ذهب حاليًا تقريبًا)، جاي من تجارة الذهب اللي كان بيعجي من أفريقيا السوداء عن طريق قوافل لمراكش وسيجلماسا.

ابن حوقل بيقول إنه شاف شيك (صك) بـ 42,000 دينار في واحة في شمال غانا، وده رقم مهول وقتها.

الدينار العربي غزا العالم

عملة العرب كانت بتنتشر في روسيا، فنلندا، البلاد الإسكندنافية، والبلقان، وحتى في بريطانيا وآيسلندا! وده بيدل على النفوذ الاقتصادي الرهيب اللي كان عند العرب.

وفيه كمان ملك إنجليزي اسمه Offa عمل عملة مقلدة للدينار العربي، وكتب اسمه بالعربي بالمقلوب، دليل على تأثير العملة العربية في أوروبا.

الخلاصة

العرب سيطروا على البحر المتوسط، خلّوه شبه مقفول في وش السفن المسيحية، بس مفتوح للتجارة الإسلامية. وده ساعد على ازدهار اقتصادي ضخم في الدولة الإسلامية، ووصول العملة العربية لأبعد بلاد في العالم.

المرحلة الثالثة في تاريخ التجارة

♦ تفوق العرب التجاري والعلمي

- استمر تقدم العرب بدون منافسة لحد دخول النورمانديين لإيطاليا والبحر الأبيض المتوسط في النصف الثاني من القرن 11، واندلاع الحروب الصليبية الأولى سنة 1096م.

◆ النورمانديون وأثرهم السياسي والعسكري

- النورمانديين كانوا في البداية حجاج اتحولوا لجنود مرتزقة بقيادة جورج مانياكس البيزنطي لمحاربة المسلمين.
- نزلوا جنوب إيطاليا كقراصنة، واستغلوا الفوضى وأسسوا مملكة.
- أسروا البابا ليو التاسع سنة 1053م، وخدموا البابا نيكولاس الثاني سنة 1059م.
- أنقذوا البابا جريجوري السابع سنة 1084م من هجوم مجموعة أخرى من الرحل.

◆ الشقيقان النورمانديان البارزان

- روبرت جويسكارد (1007 – 1085) في دون أبوليا: حارب النفوذ البيزنطي والإسلامي في جنوب إيطاليا.
- روجر الأول (1061 – 1101) في صقلية: استولى على الجزيرة وحل محل الأمير العربي.
- روبرت استولى على باري سنة 1071م.
- روجر احتل صقلية بالكامل بمساعدة أخوه، وتم إخضاعها سنة 1091م.

أحمد كرم

◆ الحروب الصليبية والتجارة

- رجوع المسيحية تدريجياً لحوض البحر الأبيض المتوسط.
- روجر وبوهمند (ابن روبرت) وتانكرد قادوا الحملة الصليبية الأولى.
- أثرت الحروب الصليبية على التجارة تأثير كبير جداً.
- نمو تدريجي للتجارة بين أوروبا والشرق.
- توسعت الأساطيل مثل البندقية وجنوه والمدن الإيطالية.
- التجار الأوروبيين شاركوا مع البعثات وافتتحو أسواق جديدة في كل ميناء يتم فتحه.

◆ انتهاء خطر القراصنة المسلمين

- توقفت هجمات القراصنة العرب بعد استعادة:

○ سردينيا سنة 1022

○ كورسيكا سنة 1091

○ صقلية ما بين 1058 – 1090

- هذه الجزر كانت قواعد للرحالة المسلمين من شمال أفريقيا وإسبانيا.

◆ ازدهار المدن التجارية الأوروبية

- نشأت اتحادات تجارية في الشمال لتوزيع السلع.
- البندقية، جنوة، وبيزا كانت في الصدارة في شمال إيطاليا.
- اتحاد ميلانو شمل مدن سهل لمبارديا (برجامو، برشه، كريم)، وكان له دور اقتصادي بجانب معارضته للإمبراطور فردريك بربارت.
- مدن جنوب إيطاليا ازدهرت: نابولي، سالرنو، أمالفي، وباري.
- صقلية: بالرمو أصبحت مركزاً بارزاً.
- فرنسا: مرسيليا، مونبلييه، وناربون.
- إسبانيا: برشلونة، وكتالونيا.

◆ الاتحاد الهانسي (Hanseatic League)

- أسسته لوبك وهامبورج في القرن 13.
- بلغ الذروة في نهاية القرن 14 وبداية 15.
- امتلك مراكز تجارية ومصانع بأوروبا.
- اتحاد الفلمنكيين في لندن برئاسة بروجز كان متخصص في تسويق البضائع الإنجليزية.
- مدن الاتحاد: بروجز، أنتورب، كاليه، دور درخت.
- اتحادات أخرى: اتحاد صرابيا واتحاد الراين، وكان دورهم اقتصادي أكثر من السياسي.

◆ البندقية وجنوه وتحكمهم في تجارة الشرق

- البندقية تخصصت في التجارة مع سوريا ومصر.
- جنوه احتكرت التجارة مع شمال أفريقيا والبحر الأسود.
- جنوه امتلكت مستعمرات في:
 - كافا (Caffa) في القرم
 - تانا على بحر آزوف

◆ قبرص كمركز تجاري دولي

- قبرص كانت مهمة تحت حكم ملوك اللوزجنيين.
- مدينة فاماغوستا أصبحت من أغنى مدن البحر المتوسط.
- المؤرخ ليونتوس مكاروريوس (قرن 14) وثّق ثروات تجار قبرص:
 - الأخوين النسطوريين سير فرانسيس وسير نيكولاس جمعوا ثروات ضخمة.
 - سير فرانسيس كسب من صفقة واحدة 30,000 قطعة ذهب، أرسل منها 10,000 للملك بيتر الأول.
 - التاجر ستيفند اللوزجني حقق ربح هائل من رحلة واحدة بثلاث سفن من سوريا.

◆ سقوط قبرص في يد الأوروبيين

- أهل جنوه احتلوا فاماغوستا سنة 1383.
- أهل البندقية ضمو الجزيرة كلها سنة 1489.

◆ الدور الإغريقي والأرمني

- القسطنطينية، طرابيزون، ومدن أرمنية بآسيا الصغرى كانت مراكز مهمة للتجارة المسيحية الغربية حتى فقدت استقلالها.

◆ الحملة الصليبية الرابعة وتأثيرها التجاري

- انتهت بانحياز الإمبراطورية البيزنطية سنة 1204.

- بدأت تجارة أوروبية قوية مع المدن اللاتينية في بحر إيجه.
- مارينو سانودو اقترح حصار بحري لمصر وسوريا لخنق تجارة المماليك، لكن المشروع فشل بسبب العفو البابوي للبندقية.

♦ استمرار التجارة رغم انهيار مملكة بيت المقدس

- برغم اختفاء المملكة سنة 1291-1292 والغارات المسيحية المتكررة:
 - على الإسكندرية سنة 1365
 - على المهدية سنة 1390
- إلا أن التجارة مع الشرق استمرت وازدهرت لغاية فترة طويلة من القرن 15.
- التغير الحقيقي في مجرى التجارة لم يحصل إلا في وقت متأخر.

الطرق والنقل

الطرق في الإمبراطورية الرومانية:

- الرومان كانوا يهتموا جدًا بالطرق، وكانت مرصوفة بالحجر ومتصلة ببعضها بشكل ممتاز.
- كانوا يبنوا جسور علشان يضمنوا سهولة التنقل سواء للجيش أو المدنيين.
- الطرق دي كانت رمز لحضارتهم.

الطرق في العصور الوسطى:

- بعد سقوط روما وظهور ممالك الجرمان، الطرق اتدمرت وبقت سيئة جدًا.
- بقت مجرد ممرات مليانة طين وعوائق، وخطرة بسبب قطاع الطرق والحيوانات المفترسة.
- التجار كانوا بيتسموا "أصحاب القدم المتربة" علشان كانوا بيمشوا كثير في التراب بالصيف علشان يهربوا من برد الشتاء.
- أوروبا كانت متأخرة جدًا عن آسيا وأفريقيا في موضوع الطرق والمواصلات.

وسائل النقل:

- في الشرق: الجمال والخيول كانوا الوسيلة الرئيسية.
- في الغرب: البغال والعربات، بس العربات بأربع عجلات كانت نادرة، ومقصورة على المدن الغنية.
- النقل كان غالي جداً: تكاليف العربات تساوي أرباح ٣ لـ ٥ فدادين!
- الضرائب زودت تكلفة النقل بشكل كبير، زي "ضريبة الملح" اللي كانت بتدفع عند كل نقطة عبور.

الطرق بين المدن:

- الطرق الأساسية كانت بين المدن التجارية والأسواق زي سانت دنيس، بروجز، ليل، باريس، شامبني، أفينيون وغيرها.

الجسور والرهبان:

- في أواخر العصور الوسطى ظهر نظام ديني اسمه "إخوان الكباري" هدفه صيانة الجسور.
- جسور شهيرة كانت في لندن وباريس وأفينيون وغيرها.
- جبال الألب كان فيها ممرات زي سان برنارد ومونت سيني، استخدموها لحد ما اتعمل جسر سانت جوتارد.

حماية التجارة:

- التجار الأثرياء كانوا بيسافروا بحراسة مرتزقة.
- التجار الفقراء كانوا بيتجمعوا في قوافل للحماية.
- النقل النهري كان مفضل للبضائع الثقيلة، لكنه برضو عليه ضرائب كتير (٦٤٠ نقطة على نهر الراين!).

أمثلة على تكلفة النقل:

- نقل النبيذ من بيزا لفلورنسا (٥٠ ميل): كان بيزود السعر بنسبة ٥٠٪.
- الملح: تكاليف نقله كانت ٦٠٪ من تمنه الأصلي.

تجارة الشرق:

- القوافل كانت بتمر من وسط آسيا لحد أوروبا.
- مدن مهمة: سمرقند، تبريز، بغداد، كيبف، حلب، دمشق، عكا.
- في مصر: الإسكندرية، رشيد، دمياط كانوا بيستقبلوا تجار أوروبا بحرية.

النقل البحري:

- التجارة الهندية كانت بتتنقل بالسفن للخليج وبعدين بالقوافل للشام.
- البحر الأحمر كان ليه طريق لغاية عيذاب، ومنها لقوص، وبعد كده النيل للقاهرة والإسكندرية.
- الأجانب مكش مسموح لهم يدخلوا جوه البلد، كانوا بيقفوا عند الأسواق الساحلية بس.
- السفن كانت بتتحرك في مجموعات ومعها حراسة عشان القرصنة.
- أنسب وقت للإبحار للشرق كان من إبريل ليونيو، وللغرب من أغسطس لأكتوبر.

أحمد كرم

تطور صناعة السفن:

- سفن كبيرة بتشيل ٥٠٠ لـ ٨٠٠ طن، وعليها مئات البحارة.
- فيه سفن بتشتغل بالشراع، وفيه بالمجاديف اللي بيشتغلها عبيد مربطين بالسلاسل.
- البوصلة كانت معروفة من القرن الـ 13، لكن استخدامها الحقيقي بدأ في القرن الـ 15 بفضل البحارة العرب.

تكاليف النقل البحري:

- كان أرخص من النقل البري، بس برضو غالي.
- نقل الحبوب من أرمينيا لإيطاليا كان بيكلف أكثر من ١٦٠٪ من ثمنها.
- عشان كده، كانوا بينقلوا بس البضائع الغالية والخفيفة نسبياً.

- في العصور الوسطى، التجارة الدولية لقت حل وسط في المدن الكبيرة والأسواق الكبيرة التي كانوا يطلقوا عليها اسم "الموالد". من أشهرها كانت سوق شاتيانتي التي كانت في فرنسا وكانت موقعها ممتاز جداً بشأن تستقبل تجار من فرنسا، فلاندرز (بلاد فلاماند في بلجيكا)، إيطاليا، وأماكن ثانية كثير.
- نبلاء المنطقة كانوا عارفين أهمية السوق دي وشجعوا عليها، فكانوا يفتحوها بشكل دوري على مدار السنة في أوقات معينة زي أعياد الميلاد والفصح وأيام مايو ويونيو.
- السوق دي كانت مخصصة لتجارة الجملة، وكانت مخازنها وقاعاتها كبيرة، والتجار كانوا يدفعوا الضرائب بانتظام لضمان حقوق النبلاء. وكان فيه نظام صارم يفتح ويغلق السوق على مواعيد محددة، والأمن كان مضمون عن طريق النبلاء وحراسهم.
- كمان كانت فيه محاكم خاصة للنزاعات التجارية، والعمليات التجارية كانت بتتم بصكوك بتتبادل في نهاية الموسم في بنك السوق، وده كان أشبه بسوق أوراق مالية حقيقي.
- في الأسواق دي، كانت بتتجمع بضائع من كل حته: الصوف من إيطاليا وفلاندرز، الكتان والنبيل من فرنسا، الجلود من ألمانيا، الحديد من صقلية وإسبانيا، التوابل والحريز من الشرق، الذهب والفضة من أفريقيا، وأحجار الشبة من آسيا الصغرى.
- بجانب شاتيانتي، كان فيه أسواق ثانية زي سوق سان دنييس في باريس التي افتتحها طلبة الجامعة، وسوق بوكير جنب مرسليليا، وسوق في إكس في بروفنس. ومع مرور الوقت، الأسواق دي بدأت تفقد أهميتها قدام أسواق الفلاندرز التي كانت بتتنمو بشكل كبير في القرن الرابع عشر.
- في إنجلترا، الأسواق كانت صغيرة نسبياً في مدن زي ونشستر وستامفورد، وفي روسيا وأوكرانيا كان فيه مراكز نشطة لتجارة الفراء والسلع التي بتيجي من الشرق.
- الموالد أو الأسواق كانت مش بس للتجارة، كانت كمان مراكز للتسلية. كان فيها ألعاب، عروض تمثيلية دينية، وموسيقى وشعراء بيغنون للناس، وكمان كان بيقدمو ذبائح لجذب الزباين.
- أما في الشرق، كان فيه أسواق محلية مرتبطة بالمناسبات الدينية، زي سوق عكاظ في مكة التي كان بيجمع قبائل العرب قبل الإسلام وكانوا بيتبادلوا فيه البضائع وكمان الشعر والحكم.
- في أواخر العصور الوسطى، بدأت المدن تنمو وتتحوّل لمراكز صناعية وتجارية كبيرة بسبب تطور الصناعة والتجارة، خصوصاً في مناطق زي فلاندرز وجنوب أوروبا، وده أدى لظهور طبقة جديدة من البورجوازيين الأثرياء.
- مدن زي البندقية وجنوا كانت من أكبر المراكز التجارية في البحر المتوسط، وكانوا عندهم أسطول ضخم من السفن الحربية والتجارية وأعداد كبيرة من البحارة.
- البندقية كان عندها دار سك العملة التي بتصدر الدوكات الذهبية، وكانت بتصدر كميات كبيرة منها لمصر وأسواق ثانية.
- الأسواق في مدن الشرق زي الإسكندرية والقسطنطينية ودمشق كانت بتجذب التجار الغربيين، وكانت الإسكندرية ميناء رئيسي ونشط جداً في التجارة بين الشرق والغرب.

السلع

السلع التي كانت بتتبادل في أسواق إسكندرية والمدن التجارية القديمة كانت بتتنقسم لثلاث أصناف رئيسية:

1. الرقيق

ده كان من أكثر الحاجات التي كانت تجارة مربحة جداً، والغرب كانوا مهتمين بيه جداً في الشرق. المماليك أنفسهم كانوا

بياعهم على شراء الرقيق لتكوين جيوشهم وحراستهم، والتي كانت تتكون من ممالك من جنسيات وأعراق مختلفة زي الأتراك، التركمان، المنغول، الشراكسة، وغيرهم. وكان عددهم كبير جداً في بعض الفترات، وكانوا يبيعوا بأسعار حسب العمر والصحة والجنسية.

2. المنتجات الطبيعية

دي كانت سلع زي التوابل والفلل اللي كانوا بيستوردوها من الهند، وكانت بتتباع في أسواق كبيرة زي سوق الفلفل في إسكندرية. كمان في منتجات زي الصبر، الشبة، العنبر، البلسم، صبغات طبيعية، خشب الصندل، الكافور، القرفة، القرنفل، العاج، اللبان، الزنجبيل، اللؤلؤ، الأحجار الكريمة، وكمات معادن زي الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص، اللي كان ليهم استخدامات صناعية ودينية زي تسقيف الكنائس.

3. البضائع المصنعة

دي كانت حاجات زي الخيوط المذهبة والمفضضة، الخزف الصيني، السكر، المنسوجات المزخرفة من مصر ودمشق وبغداد وإيران، السجاد الإيراني، المصنوعات الزجاجية من سوريا ومصر وشمال أفريقيا. كمان كانت في صناعات نسيج متطورة جداً، وكانت أوروبا بتصدر منتجاتها زي المخمل من جنوا، الكتان من فرنسا، والصوف من لومباردي.

باختصار:

- الغرب كان بيصدر أسلحة ورقيق للشرق، وبيرجع محمل ببضائع طبيعية وصناعية ثمينة زي التوابل، المنسوجات، الخزف، والأحجار الكريمة.
- التجارة دي كانت مربحة وذات أهمية كبيرة، خصوصاً تجارة الرقيق اللي كانت أساس قوة الممالك العسكرية والسياسية.
- كمان كانت موانئ زي إسكندرية وجنوا والبندقية مراكز مهمة في حركة التجارة دي.

النقد، والتسليف، والمصارف

تطور استخدام النقود الذهبية والفضية في أوروبا والشرق الأوسط عبر العصور الوسطى، وإزاي النقود كانت بتعكس تقدم الحضارات أو تخلفها:

١. الحالة الاقتصادية في أوروبا في العصور الوسطى الأولى

- أوروبا كانت منقسمة: شرق بيزنطي (الإمبراطورية البيزنطية) وغرب برابرة.
- الإمبراطورية البيزنطية كانت لسة محتفظة بالعظمة الرومانية واقتصادها كان غني وتجاري.
- الغرب الأوروبي كان متخلف واعتمد على اقتصاد زراعي بسيط والتجارة فيه توقفت.

٢. النقود والعملات في أوروبا

- في الشرق (البيزنطيين) كان في عملة ذهبية قوية اسمها النومسما (Nomisma)، اللي كانت مستقرة في الوزن والقيمة، وده خلى الناس تثق فيها جداً.

- الغرب الأوروبي (الميروفنجية) كان معدوش غير شوية عملات ذهبية قليلة، وكان بيعتمد على العملة الفضية (البنسات) اللي حاول شرلمان يفرضها بالقانون.
- النومسما دي كانت وراثه للسيليدس الروماني القديم، وده بيدل على استمرارية النظام الاقتصادي هناك.

٣. التعامل بالعملات في أوروبا الغربية

- العملات كانت نادرة، والديون أحياناً بتتسد بسلع مش نقود (زي في إسبانيا وفرنسا)، لأن الفلوس ما كانتش متاحة كتير.

٤. ظهور الإمبراطورية الإسلامية وعملتها الخاصة

- الخلفاء المسلمين كانوا في الأول بيقبلوا النومسما.
- لكن بعدين أطلقوا عملتهم الذهبية والفضية: الدينار (ذهب) والدرهم (فضة) في عهد عبد الملك بن مروان في أواخر القرن السابع.
- السبب الرسمي رفض الصور على العملات (الدين الإسلامي بيمنع تصوير البشر)، لكن الهدف الحقيقي كان الاستقلال الاقتصادي.
- الدينار الإسلامي انتشر بشكل كبير مش بس في الدولة الإسلامية، لكن كمان في مناطق بعيدة حتى شواطئ بحر البلطيق.

٥. أوروبا بدأت تعرف أهمية النقود في العصور الوسطى المتأخرة

- في عصر الصليبيين، بدأ الغرب يصنع عملات ذهبية بنفسه، زي عملة الدوكات في صقلية في عهد روجر الثاني (1130-1154).
- بعد كده في فلورنسا ظهر الفورين (florino d'oro) اللي كانت عليها علامة زهرة الزنبق.
- والبندقية بعدين بدأت تصدر الدوكات الذهبية في أواخر القرن 13، وكانت عملات مستقرة ومقبولة دولياً.

٦. انتشار العملات الذهبية في أوروبا

- عملات زي الأوجستالس (للفردريك الثاني)، الجنيه الفرنسي (سانت لويس)، عملات في هولندا، إنجلترا (الملك إدوارد الثالث) انتشرت في مناطق كتيرة.

- لكن مشكلة انتشار العملات كانت في أن النبلاء الاقطاعيين كان لديهم حق سك عملاتهم الخاصة، واللي كثير منهم كانت عملات ضعيفة القيمة أو مقللة الجودة.
- مثال سلبي: الملك جون الثاني في فرنسا حاول يخفض قيمة العملة عشان يهرب من الديون، وده كان بيأثر على الاستقرار الاقتصادي.

٧. دراسة المال والنقد في أوروبا

- في القرن الـ14، نيكولاس أورزم كان أول حد في أوروبا بيشتغل على نظرية مالية حقيقية.
- هو قال إن الفلوس جزء من تراث الناس وشغلهم، ومش حق للملوك إنهم يستغلوا إصدار العملة عشان يكسبوا.
- التلاعب في العملة ده حاجة مش أخلاقية ويتضرر الاقتصاد كله.
- في نفس الوقت، في مصر كان فيه دراسات ونظريات مشابهة عن النقد في زمن المماليك، لكن أبحاثهم لسة مش مشهورة كفاية في الدراسات الحديثة.
- كان من المفروض إن قيمة العملات الذهبية زي النوسما الذهبية أو الدينار أو الفلورين أو الدوكات ما تنخفضش عن ٣٥ جرام ذهب.
- في العصور الوسطى، كانت معاملات النقد مرتبطة بمفهوم "شبح المال" أو النقد الوهمي، زي الجنيه اللي كان بيساوي ٢٠ شلن أو ٢٤٠ بنس.
- الجنيه أو الم البرا في الأصل كان رطل فضة مقسم لـ ٢٤٠ قطعة فضة اسمها البنس الفضى.
- العملات الذهبية كانت قيمتها بتتغير بالنسبة للجنيه والشلن والبنس حسب سوق الذهب في المنطقة.
- مثال: في ميلانو نص القرن، الفلورين الذهبي كان بقيمة ١٠٦ جنيه أو ٣٢ شلن أو ٣٨٤ بنس.
- في العصور دي، البنس والفلورين كانوا الودنتين الحقيقيين اللي ليهم عملات مادية، والباقي كان عملات ورقية وهمية.
- نظام الديون والتسليف والمصارف ظهر نتيجة تطور التجارة الدولية والمعاملات المالية.
- صكوك التبادل كانت معروفة عند اليونان واليهود والعرب، ودخلها التجار المسيحيون في المدن الإيطالية.
- النقود كانت بتودع في مصارف مختلفة، وكان في مستندات زي الكمبيالات وعقود القروض، اللي كانت غالباً بربح عالي رغم معارضة الكنيسة للربا.
- الكنيسة في البداية كانت متشددة جداً ضد الكسب والربا، لكن بعدين سمحت ببعض الثغرات في القوانين، مثال سان توماس الأكويني جادل في شرعية الكسب لو المغامرة كبيرة.
- البابوية رفضت قانونياً الربا، لكن أصحاب المصارف في مدن لومبارد والبندقية وجنوا وفلورنس بدأوا يحلوا محل اليهود في مهنة تبديل النقود.
- مصارف مشهورة في العصور الوسطى: سان مارك (البندقية)، سان جورج (جنوا)، باردى وبيروزي (فلورنسا).

- في نهاية القرن الرابع عشر، النقود الفلورنسية المتداولة كانت حوالي مليوني فلورين ذهبي.
- مصرف بيروزي كان فيه ١٦ فرع في العواصم الأوروبية والمدن التجارية الغربية، وكمين في الشرق وشمال أفريقيا.
- الملوك والإقطاعيون كانوا بيودعوا نقودهم في خزائنهم، والحجاج كانوا بيودعوا نقود في مدن أوروبية ويصرفوها في أماكن زي روما والقدس.
- الأموال الكبيرة اللي جمعها الداوية (أكبر الهيئات المصرفية في القرن الثالث عشر) كانت سبب في حل النظام دا ومصادرة ممتلكاته عام ١٣١٢ بأمر فيليب الرابع ملك فرنسا.
- البابوات في عصر النهضة بدأوا يستغلوا مبادئ المصارف، زي البابا سكستس الرابع اللي قال إنه ممكن يجمع أي مبلغ بالكتابة فقط، والبابا اينونست الثامن اللي أسس مصرف في روما لبيع صكوك الغفران.
- توسع التجارة البرية والبحرية وتطور طرق المعاملات وتنوع السلع، مع تعقيد القوانين والتقاليد حسب البلدان، جعل كل دولة تعمل نظام تجاري خاص بقانون مكتوب أو عرف.
- الأسواق التجارية كانت منظمة بقواعد يشرف عليها الأمير، والمدن كان لها نقابات تجارية وجمعيات دائمة أو مؤقتة للرحلات والصفقات.
- بعد الحروب الصليبية في البحر المتوسط، ظهرت قوانين بحرية تنظم الملاحة والتجارة، زي القانون الرودي، قوانين أولبرن، وجداول أما لفي.
- القوانين دي كانت بتحمي التجارة، تضمن سلامة البضائع، تفتيش السفن، ومتابعة عدد البحارة، وتنظيم مسؤوليات الربان والقائد.
- في مصر، ضبط النشاط التجاري كان واسع لأن التجارة مصدر رئيسي لدخل السلطان.
- ميناء الإسكندرية كان بيتم حراسته بالسلاسل ليلاً لمنع تهريب السفن بدون دفع جمارك.
- قوائم الزوار والبضائع كانت ترسل فوراً للقاهرة عن طريق حمام الزاجل.
- المسافرين كان لازم يجيب خطاب تقديم من توكيلات مصرية في أوروبا (نظام أشبه بالقنصلية).
- الأجانب كانوا بيدفعوا قطعة ذهبية عند دخولهم، وماكانش مسموح لهم يتجولوا بحرية خاصة قرب البحر الأحمر.
- كل أجنبي كان يقيم عند القنصل بتاع دولته، اللي كان بيوقف بوابته من الغروب للشرق وأثناء صلاة الجمعة كإجراء أمني.
- تحميل وتفريغ السفن كان بيتم عند بوابات البحر فقط، والجمرك كان على المدينة الكبيرة.
- كل الصادرات والواردات كانت تخضع للجمارك بدقة قبل الإفراج عنها.
- إدارة المدينة كانت تحت والي ذو رتبة عالية (نائب الملك).
- المدينة كان ليها خزانة الخاصة (بيت المال)، ودار الصناعة (بيت السلاح)، والشرطة والقوات الدفاعية.

- الأسواق كانت تحت إشراف المحتسب، اللي كان مسؤول عن الموازين والمقاييس، منع الغش، تنفيذ العقود، أداء الديون، والفصل المؤقت في الخلافات الاقتصادية.
- المحتسب كان يحمي الأخلاق العامة ويقدر يصادر أي شيء ممنوع أو يعتقل أي شخص يسيء التصرف.
- كان عليه يتأكد من حضور المسلمين لصلاة الجمعة.
- سلطته كانت تشمل منع القسوة على الحيوان والخدم والرقيق، والحفاظ على نظافة المدينة، وتنظيم حركة المرور للتجار والبضائع.
- النظام التجاري في العصور الوسطى كان دقيق ومنظم في كل من أوروبا والبلاد العربية في الشرق.

الفصل الخامس

معايير الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

- العصور المظلمة في التاريخ الأوروبي بتشير للشطر الأول من العصور الوسطى، من سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب أواخر القرن الخامس للميلاد لحد قيام نهضة العصور الوسطى في أواخر القرن الحادي عشر.
- في الفترة دي، سادت أوروبا حالة من التأخر الحضاري الشديد بسبب سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 476م وقيام ممالك جرمانية جديدة أقامها شعوب البرابرة.
- سقوط الإمبراطورية أدى لانكماش الحضارة الرومانية تدريجياً في إيطاليا وأسبانيا وغاليا (فرنسا وإنجلترا وغيرها)، وذبلت المدن الرومانية، وأقفلت المدارس وانتشر الجهل.
- لم يبق أثر للحضارة والمعرفة في غرب أوروبا إلا بصيص خافت ينبثق من المؤسسات الكنسية المنتشرة بسرعة في الغرب الأوروبي.
- التعليم في الشطر الأول من العصور الوسطى اتصف بطابع ديني واضح، لأن رجال الدين كانوا الفئة الوحيدة اللي لها رغبة في التزود بالمعرفة بسبب دورهم في المجتمع.
- وظيفة رجال الدين كانت وعظ الناس وإرشادهم إلى الطريق السوي، واثامهم روح الإنجيل وتعاليمه، فاحتاجوا إلى إعداد خاص من الكنيسة يضمن أداء مهامهم بشكل مرضي.
- فهم النصوص الدينية وشرحها لعامة الناس كان يتطلب الإمام بالدراسات الدنيوية، خاصة الجدل وأصول اللغة اللاتينية، وهي اللغة الرسمية للكنيسة الغربية طوال العصور الوسطى.
- أصبح من الضروري تعليم رجال الدين تعليم دنيوي تتخذ منه أساس الثقافة الدينية.
- العلوم الدنيوية في مدارس ذلك العصر وصلت لأوسع آفاقها في ما عرف بـ "الفنون السبعة الحرة"، التي انقسمت إلى مجموعتين:

○ الأولى (الثلاثية): النحو، البلاغة، الجدل.

○ الثانية (الرابعة): الحساب، الهندسة، الفلك، الموسيقى.

- مادة الفنون السبعة كانت مستقاة مما كتبه ثلاثة كتاب عاشوا في العصر الأخير من الحضارة الرومانية القديمة وهم: بوثيوس، كاسيدورس، ومارتيانوس كابلا.
- المعلومات التي كتبها هؤلاء كانت سطحية ومقتضبة، مما قلل من أهميتها في تدعيم الدراسات الإنسانية.
- الكنيسة أقرت تدريس الفنون الحرة على أسس مسيحية لأن المدارس في الغرب الأوروبي تحولت لهدف واحد وهو إعداد رجال الدين لأداء مهامهم في المجتمع.
- كثير من الجرمان الذين أقاموا ممالك في غرب أوروبا أظهروا نفوراً قوياً من التعليم، مثل ثيودريك ملك القوط الشرقيين الذي حرم إرسال أبناء القوط إلى المدارس بحجة أن الطفل الذي يتربى على الخوف من عصا المعلم قد لا يمتلك الشجاعة الكافية لمواجهة الحروب في المستقبل.

دور البابوية في توجيه التعليم في أوروبا العصور الوسطى

- البابوية زادت إشرافها على التعليم في العصور المظلمة، والسيطرة على السياسة التعليمية كانت في يد الكنيسة.
- المدارس الديرية والأسقفية ركزت على تعليم اللاهوت، والكتاب المقدس، والموسيقى الدينية، وسير القديسين المليئة بالخرافات والمعجزات.
- الدراسات الإنسانية والثقافة الراقية ضعفت بسبب كراهية رجال الكنيسة للدراسات غير الدينية.
- البابا جريجوري العظيم (٥٩٠-٦٠٤م) كان ضد الأسلوب البلاغي الكلاسيكي وفضل اللاتينية الدارجة، وكان يرى دراسة تراث الوثنيين مضیعة للوقت ومفسدة للنفس.
- الدراسة اللاهوتية سيطرت على الدراسات الإنسانية، وهيمنة الكنيسة منعت الدراسات العلمية لأن العلم يعتمد على التعقل والعقيدة على الإيمان.
- الكنيسة ركزت الناس على الحياة الروحية وغلبتها على التأمل في العالم الطبيعي.
- القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م) سخر من دراسة الظواهر الطبيعية مثل كروية الأرض.
- في العصور الوسطى، انتشرت الخرافات والسحر، ما قضى على بقية المعرفة العلمية في الغرب الأوروبي.
- البيزنطيون (الروم الشرقيون) لم يكونوا أفضل حالاً، إذ أغلق الإمبراطور جستنيان مدرسة أثينا سنة ٥٢٩م، مما أدى لهجرة الفلاسفة إلى البلاط الفارسي.
- في الوقت ده، المسلمين بنوا حضارة متقدمة وسريعة التطور، والعالم الإسلامي كان منفتح على الفكر والفلسفة.
- الغرب الأوروبي كان يعيش في جهل، تأخر، وانحطاط ثقافي وعلمي، وكانت ظروف الحياة المادية سيئة، خاصة في وسط وغرب أوروبا حيث كانت الأحراش والمستنقعات منتشرة.
- المجتمع الأوروبي كان طبقي: الأغلبية من الأقنان والعبيد (الطبقة المستعبدة)، وقلة من النبلاء والفرسان ورجال الدين.
- في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع الميلادي، ظهر فريق حضاري ضئيل وقصير الأمد اسمه النهضة الكارولنجية، التي قام بها شارلمان.

- النهضة الكارولنجية كانت مصطنعة، ضيقة الأفق، هدفها الأساسي خدمة الدين ورفع مستوى رجال الدين، ولم تتضمن تجديد أو ابتكار.
- بعد وفاة شارلمان، زاد انحطاط الحضارة بسبب غزوات خارجية:
 - الفايكنج من السويد والنرويج والدنمارك شنوا غارات واسعة على أوروبا ودمروا المدن والأديرة والكنائس.
 - الهنغاريون (المجريون) زحفوا على وسط أوروبا وهاجموا ألمانيا ودمروا ما وجدوه.
- هذه الفوضى والخراب استمرت حتى أواخر القرن الحادي عشر، عندما بدأ الغرب الأوروبي يستيقظ من غمة العصور المظلمة.
- بدأ الغرب يتأثر بالحضارة الإسلامية المتقدمة التي أسهمت في الأدب، العلم، والفن، وبدأ طلاب أوروبا يهاجرون لمراكز الحضارة الإسلامية للتعلم وترجمة المؤلفات.
- من هذا التأثير نشأت النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر (النهضة الوسطى).
- النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر كانت مختلفة عن النهضة الكارولنجية:
 - كانت حركة طبيعية، استمرت أطول، وأوسع، وأشد تأثيراً.
 - لم تكن مرتبطة بحاكم أو أسرة معينة.
 - لم تقتصر على رفع المستوى الثقافي لرجال الدين فقط، بل كانت أوسع في أهدافها.

عوامل قيام نهضة أوروبية شاملة في القرن الثاني عشر

- ازدياد النشاط التجاري خصوصاً في شمال إيطاليا، التي ساعد على نمو المدن وتقدم الحضارة والحياة الفكرية.
 - الاستقرار السياسي والاجتماعي والديني الذي حصل في غرب أوروبا بعد ما خلصت إغارات الفايكنج والهنغاريين، وده خلق أمان وسلام خلى الناس تركز أكثر على الثقافة والحضارة.
 - وأهم عامل كان ازدياد الاتصال الحضاري بين أوروبا ومراكز الحضارة الإسلامية، والذي عن طريقه الأوروبيين ترجموا كثير من المؤلفات العربية للاتينية، وده ساعد على ازدهار الدراسات الجديدة في أوروبا.
- المقال يقول كمان إن الحضارة الإسلامية كانت ليها تأثير قوي جداً على الغرب، مش بس مادي لكن فكري وثقافي، وناس كثير في أوروبا كانوا بيحسدوا المسلمين على تقدمهم وبيحاولوا يقلدوهم.
- وبيوضح إن حضارة أوروبا الحديثة مبنية بشكل كبير على الأسس التي جت من الحضارة الإسلامية.
- بعد كده بيتكلم عن الطرق التي عبرت منها الحضارة الإسلامية لأوروبا، ودي كانت ثلاث طرق رئيسية:

1. أسبانيا

2. صقلية

3. بلاد الشرق الأدنى مع الحروب الصليبية

لازم نركز على كل معبر منهم عشان نفهم أهميته في الربط الحضاري بين العالم الإسلامي وأوروبا.

إسبانيا

- لما المسلمين فتحوا إسبانيا في أوائل القرن الثامن، كانت زي باقي أوروبا وقتها، جهل وتأخر وفوضى بسبب النزاعات الداخلية والفتن الطائفية. حتى إن واحد من كبار أمراء إسبانيا كان متعاون مع رئيس أساقفة أشبيلية لمساعدة المسلمين في الفتح.
- لكن المسلمين بعد الفتح ما اكتفوش بالسيطرة، بالعكس اشتغلوا على الاستقرار والبناء، عمروا الأرض المينة، رمموا المدن المهجورة، وحركوا التجارة والصناعة، وبقي الأندلس في عهد خلافة قرطبة أغنى وأزحم بلاد أوروبا.
- وبذل ما يكتفوا بالعلوم الموجودة في المشرق، الأندلسيين زودوا وابتكروا وجددوا في العلم، وده خلا أوروبا تستفيد من المصادر دي من أواخر القرن الحادي عشر.
- الطرق اللي الأندلس استعانت بيها للحصول على العلوم كانت 3:

1. جلب علماء من المشرق زي أبو علي الفالي.

2. إرسال بعثات من الأندلس للمشرق، زي يحيى بن يحيى الليثي.

3. جمع الكتب من بغداد ومصر وأماكن تانية، وكان الخليفة الحكم الثاني جاب آلاف الكتب.

- الحضارة الإسلامية وصلت أوجها في الأندلس في النصف الثاني من القرن العاشر، وقرطبة بقت من أعظم مدن العالم، كان فيها مليون نسمة، وشوارعها كانت مضاءة بمصابيح عامة بالليل، حاجة ما كانتش موجودة حتى في لندن لمدة 700 سنة بعدها.
- استمر نور الحضارة الإسلامية في الأندلس، خصوصاً في الثقافة والاقتصاد والفنون، وده أثر على غرب أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.
- سياسة التسامح اللي اتبعها المسلمون في الأندلس تجاه المسيحيين واليهود خلّت ناس كتير من غير المسلمين يتعلموا اللغة العربية ويتأثروا بثقافة العرب، وده خلق مدرسة كبيرة من غير المسلمين اللي كانوا سفراء الحضارة الإسلامية لأوروبا.
- اليهود شاركوا بفعالية في الثقافة في الأندلس، وترجموا كتب عربية كتير، وده كان جزء من النشاط الحضاري العام.
- في القرن التاسع، ألفارو (كاتب مسيحي متعصب) ذكر إن المسيحيين كانوا بيقرأوا كتب الفقهاء والفلاسفة المسلمين مش عشان ينتقدوها، لكن عشان يتعلموا الأسلوب العربي.
- لما المسيحيين استعادوا طليطلة سنة 1085، زاد تدفق طلاب العلم الأوروبيين على الأندلس عشان يدرسوا العلوم الإسلامية، وده خلّى حركة الترجمة للنصوص العربية تزدهر لغاية القرن الخامس عشر.
- ترجموا كتير من كتب العرب في العلوم والفنون، وكمان كتب يونانية زي كتب جالينوس وأرسطو اللي وصلت لأوروبا عن طريق الترجمات العربية.
- حتى بعض الحكام المسيحيين في إسبانيا كانوا مقدرين الثقافة الإسلامية، زي ألفونس الخامس ملك قشتالة وليون.
- رغم إن في ناس متعصبة زي رئيس الأساقفة اكزيمينيس حاولوا يحرقوا كتب العرب ويطمسوا أثرهم بعد ما طردوهم من إسبانيا، لكن الحضارة اللي تركها العرب كانت واضحة: طرق، قصور، مشافي، فنادق... ولوبون قال إن أعمال الري اللي موجودة في إسبانيا الحديثة كلها من إنجاز العرب.

- المعبر الثاني اللي انتقلت منه علوم المسلمين لأوروبا الغربية كان جزيرة صقلية.
- المسلمين ثبتوا أقدامهم في صقلية في القرن التاسع للميلاد.
- اهتموا بالزراعة وحفروا الترع والقنوات وأنشأوا المجاري المعقوفة اللي كانت مجهولة قبلهم.
- أدخلوا زراعة القطن وقصب السكر.
- في الصناعة استغلوا ثروة الجزيرة الطبيعية واستخراجوا الفضة والحديد والنحاس والكبريت.
- أدخلوا صناعة الحرير.
- تجارة صقلية توسعت أيام العرب بعد ما كانت في الحضيض قبل حكمهم.
- مباني العرب في صقلية الآن قليلة ونادرة، لكنها شهدت روعة وجمال.
- الإدريسي وصف بالرمو في عهد روجر الثاني بعد زوال حكم العرب، وأشاد بتصورها ودورها ومنتزهاتها.
- الفارق كبير بين أحوال صقلية الثقافية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية عند بداية احتلال المسلمين وعند نهاية حكمهم.
- الحضارة الإسلامية لم تنته مع انتهاء حكم المسلمين في صقلية، ووجدت تشجيع من ملوك النورمان.
- ملوك النورمان حموا العرب لأنهم لمسوا تقدمهم في الفنون والعلوم والصناعات.
- روجر الأول (1061 - 1101) اعتنى بالعرب وحماهم، وكتب مراسيمه بالعربية واللاتينية واليونانية.
- نقود روجر الأول مكتوب على وجهها بالعربية، وعلى الوجه الآخر باللاتينية واليونانية، وبعضها عليه رمز الإسلام وبعضها شعار المسيحية.
- خلفاء روجر ساروا على سنته.
- روجر الثاني (1129 - 1154) استعان بعلماء عرب.
- وليم الثاني (1166 - 1184) تعلم اللغة العربية واعتمد على مستشاريه العرب في شؤونه المهمة.
- في نورمبرج يوجد رداء حرير يلبسه ملوك صقلية مطرز بكتابات عربية بالخط الكوفي، يعود لعام 1133م.
- ملوك النورمان اتخذوا لأنفسهم حراساً عرب بزيا مختلفاً عن الحراس النورمان.
- الشعر العربي كان يمارس في بلاط ملوك صقلية النورمان.
- المدرسة الصقلية في الشعر ظهرت فقط في عصر الإمبراطور فردريك الثاني في القرن الثاني عشر.
- فردريك الثاني لقب بـ"نصف شرقي" لأنه أحاط نفسه بمظاهر شرقية عربية.

- قيل إن فردريك الثاني تعلم اللغة العربية وجمع حوله علماء وراقصات ومغنيات عرب، وشجع ترجمة الكتب العربية، والجغرافيين، والفلكيين، والأدباء العرب.
- المستشرق أماري قال إن معرفة أكثر بالشعر العربي في صقلية قد تكشف صلات وثيقة بينه وبين الشعر الإيطالي القديم في أواخر العصور الوسطى.
- سبب ممارسة الشعر بالعامية في صقلية هو معرفة أهلها بأخبار العرب وشعرانهم وتشجيع الأمراء المسلمين لهم.
- الشعر الشعبي المبكر في إيطاليا يتفق في أوزانه مع الشعر الشعبي في إسبانيا، مما يدل على تأثير واحد في الحالتين.

الشرق الأدنى والحروب الصليبية

- بلاد الشام والشرق الأدنى كان لهم دور مهم في نقل مظاهر الحضارة الإسلامية للغرب الأوروبي في العصور الوسطى، ويرتبط ده بالحروب الصليبية والصلات السياسية والحضارية والتجارية التي نشأت بسببها.
- لكن مش لازم نبالغ في دور بلاد الشام والحروب الصليبية كمعبر لنقل الحضارة الإسلامية، لأن الصليبيين جوا الشرق الأدنى للحرب مش لطلب العلم.
- حياة الصليبيين في بلاد الشام كانت حياة جنود خشنة، متركزة على تحصين مواقعهم والدفاع عنها وسط محيط إسلامي واسع، ولم يتح لهم الاستقرار اللازم للنشاط الفكري أو الحضاري.
- الحروب الصليبية كانت مستمرة بتوقيفات قصيرة بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مما جعل حياة الاستقرار العلمي صعبة.
- رغم كده، الحروب الصليبية لم تكن خالية من الاتصالات الحضارية والثقافية بين المسلمين والصليبيين، وده ظهر في استعارة الكلمات والمصطلحات العربية للغات الأوروبية.
- بلاد الشام مش كانت بس مكان اتصال الغرب بالعالم العربي، لكن الحروب الصليبية أثرت في تطور فن الحرب عند الأوروبيين، خصوصاً في بناء القلاع والحصون وحركات الحصار واستخدام المجانيق والدروع والحملات البريدية بالحمم الزاجل.
- من المحتمل أن الألعاب القتالية الغربية المستمدة من ألعاب الجريد الشرقي لها أصل من الاتصال بالشرق الإسلامي.
- كثرة استعمال الشارات والرنوك في الغرب الأوروبي جاءت نتيجة الاتصال بالمسلمين في الشام.
- الحروب الصليبية أثرت في النشاط التجاري بين الشرق والغرب، وده له أثر سياسي، اقتصادي، واجتماعي في أوروبا.
- تأثيرات عربية وصلت للحياة الأوروبية العامة نتيجة زيادة التبادل التجاري، مثل انتقال نباتات وأشجار جديدة (السمسم، الأرز، الليمون، البطيخ، الثوم)، وانتشار العقاقير والأصبغ والتوابل الشرقية.
- انتقال بعض العادات والتقاليد والنظم الإسلامية للفرنجة، مثل ذكر رواية أسامة منقذ عن طباحات مصريات في بيت فارس فرنسي.
- المعابر الثلاثة (الأندلس، صقلية، بلاد الشام) كانت أهم طرق انتقال المدنية الإسلامية إلى الغرب الأوروبي، لكن مافيش خطة منظمة لترجمة معارف المسلمين في العصور الوسطى.
- الأوروبيين استيقظوا فجأة أمام كم هائل من المؤلفات العربية في شتى العلوم والفنون، وبدأوا يرتتوا منها بأي وسيلة.

- مثال على ده: أديلارد البائي اللي سافر لمصر والشام وأسبانيا طالباً العلم، وليوناردو فيبوناتشي اللي تعلم أصول الجبر من المسلمين في مصر وبلاد الشام وكان أول عالم مسيحي اشتغل بيها.
- في وقت حاصر فيه تزمت الكنيسة التفكير الأوروبي، المسلمين مثل ابن رشد كانوا مثال لحرية الفكر.
- الأوروبيين بدأوا يتجهوا لمدينة الإسلام ويهتموا بدراسة علوم المسلمين بشغف وحماس، وده أثر بشكل واضح على الفكر الأوروبي.
- الاستفادة الأوروبية الحقيقية من الفكر العربي جاءت عن طريق حركة ترجمة كبيرة، نقلت الكثير من المؤلفات العربية للاتينية، مما سمح لهم بالاستفادة الواسعة من الإنتاج العلمي والثقافي العربي الإسلامي.

أثر الحضارة الإسلامية وفضلها على الغرب في تقدمه العلمي

دور حركة الترجمة في نقل معارف الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

1. أهمية حركة الترجمة في النهضة الأوروبية

- النهضة الأوروبية الكبيرة اللي حصلت من القرن الـ12 واستمرت للقرن الـ15 كانت مرتبطة بشكل كبير بالتراث اليوناني والعربي الإسلامي.
- أوروبا في العصور الوسطى لحد القرن الـ12 كانت مهمله للعلوم والدراسات اليونانية تقريباً.
- لكن التراث اليوناني كان محفوظ ومترجم في الشرق، أولاً للسريانية والعبرية، وبعدين للعربية.

أحمد كرم

2. ترجمة التراث اليوناني في الشرق

- بلاد الشام كانت نقطة البداية لترجمة التراث اليوناني عشان تغذية الأدب السرياني.
- النساطرة المسيحيين اللي هربوا لفارس أخذوا معاهم التراث اليوناني، وده خلا التراث ده يفضل حي هناك لحد ما العرب بعد الفتح وصلوا له.
- العرب اهتموا جداً بالعلوم والثقافات اللي واجهوها، وبدأوا يترجموا من الفارسية والسريانية واليونانية للعربية.

3. دور المدارس الكبرى في الترجمة

- بني أمية ساعدوا في الحفاظ على المدارس الكبرى المسيحية والعبرية زي الأسكندرية وبيروت وأنطاكية وحران.
- هذه المدارس كانت مليانة بأهميات الكتب في الفلسفة والعلوم، وغالباً كانت مترجمة بالسريانية.
- مجموعة من المسلمين واليهود والنساطرة المسيحيين ترجموا الكتب دي للعربية، وكان السريان هم حلقة الوصل بين الثقافة الهلنستية والإسلام.

4. العصر العباسي وتطور حركة الترجمة

- في العصر العباسي، ربط العرب بين تراث اليونان وعلوم الفرس والهنود والصينيين.
- اللغة العربية أصبحت لغة العلم والمعرفة.
- في أقل من قرن من تأسيس بغداد، العرب قدروا يقرأوا كتب أرسطو وجالينوس والكتب الفارسية والهندية، ودرسوا كل ده بسرعة كبيرة.

5. الترجمة من العربية للاتينية في أوربا

- الغرب الأوروبي في القرن الـ12 مكنش فيه طريق غير الترجمة من العربية للاتينية بشأن ينهض.
- مش كل الكتب كانت تأليف عربي، لكن بعضها كان يوناني الأصل وترجم للعربية.
- العرب سواء كانوا مبتكرين أو مترجمين، كانوا حافظين التراث اليوناني اللي في بعض الأحيان ضاع من الأصل اليوناني.
- الأوربيين كانوا مهتمين جدًا بشروح العلماء المسلمين، زي ابن رشد، وده ظهر في جامعات زي جامعة باريس.

6. مراكز الترجمة في أوروبا: الأندلس وصقلية

- الأندلس كانت المركز الرئيسي للترجمة من العربية للاتينية، وكان بيحوا لها علماء أوروبيين يتعلموا من الحضارة الإسلامية.
- كان فيها مكتب كبير للترجمة في طابطة أنشأه ريموند رئيس أساقفة طابطة.
- من أشهر المترجمين جيرارد الكريموناوي اللي ترجم أكثر من 70 كتاب من العربية للاتينية.
- بعده ظهر مترجمين زي ميخائيل سكوت وهرمان وغيرهم.
- تسامح العرب في الأندلس سمح للأجانب وغير المسلمين يتعلموا ويشغلوا في حركة الترجمة.
- صقلية برضه كان ليها دور كبير بسبب موقعها بين أوروبا وأفريقيا واحتفاظها بالتقافة العربية حتى بعد حكم النورمان.
- في صقلية ترجموا كتب كثيرة من العربية للاتينية في القرنين الـ12 والـ13.
- من أشهر المترجمين فيها فرج بن سالم، يهودي من أصل صقلي.

الخلاصة:

حركة الترجمة كانت الجسر الأساسي اللي نقل الحضارة والمعرفة من الحضارة الإسلامية (اللي دمجت التراث اليوناني والفارسي والهندي) لأوروبا، واللي ساعدت النهضة الأوروبية تبدأ وتنهض في العلوم والفلسفة والطب والكيمياء. العرب لم يكونوا بس ناقلين، لكن كانوا محافظين ومطورين للمعرفة، وساعدوا في الحفاظ على التراث اليوناني اللي ضاع من أصله في أوروبا.

تأثر الغرب بمنهج البحث العلمي عند المسلمين

- علماء المسلمين آمنوا بفكرة التخصص، وقال ابن قتيبة: "من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً".
- هؤلاء العلماء امتدحوا التركيز ونادوا بالابتعاد عن المقدمات والاستطراد، كما قال ابن النديم صاحب الفهرست سنة 987: "النفوس تشرب إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات".
- القرآن نص على أن الطبيعة مصدر هام من مصادر العلم، وفتح الإسلام الباب للبحث التجريبي الواقعي في هذا المجال.
- القرآن يقدم آيات في الطبيعة مثل الشمس والقمر، امتداد الظل، اختلاف الليل والنهار، وتداول الأيام بين الناس.
- القرآن يؤكد أن هذه الآيات ماثلة في الكون كله، ويجب على المسلم تدبرها ودراستها، وعدم المرور عليها "أصم وأعمى".
- روح القرآن تمتاز بالنظرة الواقعية، على عكس الفلسفة اليونانية التي تتصف بالتفكير النظري المجرد وإغفال الواقع الملموس.
- الدعوة إلى عالم الحس في القرآن دفعت المفكرين المسلمين إلى الثورة على الفلسفة اليونانية ونقد المنطق اليوناني.
- إبراهيم بن سيار النظام هو أول من قرر أن الشك هو بداية لكل معرفة.
- الغزالي أكد نظرية الشك، ووسعها في كتابه "إحياء علوم الدين".
- الفلاسفة المسلمون هم أول من وضع أساس الشك للوصول إلى الحقيقة، وليس ديكارت الفيلسوف الفرنسي.
- بعض مفكري المنهج الإسلامي مثل الأشراقي وابن تيمية نقدوا المنطق اليوناني نقداً علمياً منظماً.
- أبو بكر الرازي كان أول من نقد الشكل الأول لأرسطو.
- في العصور الحديثة، جون ستيوارت مل أخذ انتقادات أبي بكر الرازي وصاغها في صورة جديدة.
- المفكرون المسلمون تمسكوا بحقيقة أن البحث عن الحقيقة يجب أن يكون تجريبياً، على أساس الملاحظة والتجربة.
- ابن تيمية في كتابه "نقد المنطق" قال إن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين.
- جابر بن حيان قال عبارته الشهيرة: "المعرفة لا تحصل إلا بالعمل وإجراء التجارب".
- البيروني كشف عن "زمان الانفعال"، والكندي كشف عن "تناسب الحس مع الدافع"، كمثالين لتطبيق المنهج التجريبي على علم النفس.
- القول بأن روجر بيكون هو مبتدع المذهب التجريبي هو قول بعيد عن الحقيقة.
- روجر بيكون أخذ أصول المذهب التجريبي من أساتذته المسلمين ولقنها لتلاميذه في غرب أوروبا.
- الباحث بريفولت يقول إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي في جامعة أكسفورد على تلاميذ أساتذته العرب في الأندلس.
- لا يحق لروجر بيكون أو فرانسيس بيكون أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي.

- روجر بيكون كان رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوروبا المسيحية.
- روجر بيكون كان دائم التصريح بأن تعلم اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة.

تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية في الطب

العرب اهتموا جداً بعلم الطب وقدموا فيه إنجازات كبيرة، اكتشفوا نظريات علمية كثيرة، وكتبوا مؤلفات طبية مهمة. الكتب دي انتترجمت للغات أوروبية، وده خلاها تبقى مرجع أساسي في عالم الطب لقرون طويلة، وكانت هي المصدر الرئيسي للدراسة الطبية في أوروبا خلال العصور الوسطى.

الغربيين استفادوا جداً من المؤلفات الطبية العربية لما ترجموا الكتب دي للغة اللاتينية، وبفضل ده فضلوا يدرسوا الطب العربي في جامعات أوروبا، وخصوصاً في منتصف القرن السادس عشر.

عن الطب في الإسلام:

- الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان عنده طبيب اسمه الحارث بن كلدة، وكان اهتمامه كبير بعلم حفظ الصحة، زي الحجامة والحقن وكمان نصح بعدم الاستحمام بعد الأكل.
- بعد انتشار الإسلام، تطور الطب بشكل كبير بفضل أطباء الأندلس والجراحين فيها.
- العرب اتعرفوا في أوروبا على الطب عن طريق مدارس في صقلية وأسبانيا، وكانوا أطباء العرب ليهم مكانة كبيرة لحد القرن السادس عشر.
- طريقة الفحص الطبي عند الأطباء المسلمين كانت متقدمة جداً، زي الفحص بالنبض، تحليل البول، متابعة تاريخ المريض، معرفة العادات الصحية للأسرة، ومناخ المنطقة.
- الأطباء المسلمين كانوا بارعين في تشخيص الأمراض والتفرقة بين الأمراض اللي شبه بعضها.

أهم الكتب الطبية:

- كتاب "القانون في الطب" لابن سينا (980-1037م) كان من أهم الكتب اللي استُخدمت في التعليم الطبي في أوروبا لمدة ستة قرون.
- الكتاب مقسم لخمس أجزاء تشمل وظائف الأعضاء، الصحة، الأمراض، العلاج، والمادة الطبيعية.
- ابن سينا كان عنده آراء وملاحظات مهمة زي وصف التهاب الحجاب الحاجز، عدوى السل، التهاب السحايا، وأمراض كثيرة تانية.
- كمان ابن سينا سبق فرويد في استخدام العلاج النفسي.

الجراح العظيم: أبو القاسم الزهراوي:

- كان جراح متميز وكتب كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي فيه أقسام طبية، صيدلية، وجراحية.
- شرح تعقيم الجراح وتطهيرها بالكي والنار، وأكد أهمية تشريح الأجسام للتمكن من الجراحة.
- اخترع وعرف أدوات جراحية كثيرة، وشرح عمليات حديثة مثل سحق الحصاة في المثانة.
- كتابه أترجم للاتينية في 1497م، وبقي مرجع أساسي للجراحين في أوروبا.
- كان أول من وضع أسس علم الجراحة الحديثة.

الرازي (محمد بن زكريا):

- اتولد في الري بفارس سنة 854م وتوفي في بغداد سنة 932م.
- أطلق عليه "جالينوس العرب" وكان مدير مستشفيات في الري وبغداد.
- ألف كتب كثيرة كان ليها دور كبير في دراسة الطب في أوروبا، أهمها كتاب "الحاوي".
- تكلم عن أمراض الرأس، الصرع، التشنج، وعلاجها بالتجارب.
- وصف الجدري والحصبة بطريقة علمية سبقت غيره.
- أول من لاحظ استجابة بؤبؤ العين للنور.
- كان يستخدم علاج الحمى بالكدمات الباردة على حسب السبب.
- الغرب قدروا فضله جداً وكرموا ذكره في جامعات زي برنستون في أمريكا.
- الرازي يعتبر مؤسس الكيمياء الحديثة، وقسم المواد الكيميائية إلى أقسام (معدنية، نباتية، حيوانية، مشتقة).

ابن النفيس:

- أول من وصف الدورة الدموية قبل اكتشافها في أوروبا بـ300 سنة.
- أثبت إن الدم مش ساكن لكن بيجري في الجسم كله.

المستشفيات في الإسلام:

- أول مستشفى في الإسلام بناه الوليد بن عبد الملك سنة 706م في دمشق.

- في العصور العباسية زادت المستشفيات في بغداد ومدن ثانية.
- حكام كثير بنوا مستشفيات مهمة في مصر ودمشق والقاهرة زي القسطنطينية، المستشفى الأعلى، المستشفى الناصري، والمستشفى النوري الكبير.

تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية في علم الكيمياء

- الكيمياء علم عربي انتقل للغرب باسمه.
- تطورت على يد علماء المسلمين اللي حللوا مواد كثير كيميائياً.
- ميزوا بين القلويات والأحماض وشرحوا التفاعلات الكيميائية.
- جابر بن حيان الأزدي (توفي سنة 199 هـ) هو أول كيميائي مسلم ووضع الكيمياء على أسس علمية.
- كتب جابر بن حيان كتب مهمة في الكيمياء، منها:

○ كتاب الرحمة

○ كتاب التجميع

○ كتاب الزئبق الشرقي

○ كتاب الاستتمام

○ كتاب السبعين

○ كتاب تركيب الكيمياء

○ كتاب السموم ودفع مضارها

- جامعات الغرب في بداية النهضة الأوروبية كانت تعتمد على كتب جابر فقط في علم الكيمياء.

- تم ترجمة كتب جابر للغات اللاتينية بدري.

- الغرب أخذ من كتب المسلمين مصطلحات عربية لسه مستخدمة زي:

○ الكحول

○ الأكسير

○ القلوي

○ النظرون

○ الزرنيخ

تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب في علم الفيزياء

علم الفيزياء يهتم بدراسة الظواهر الطبيعية والقوانين التي تحكمها، وعلماء المسلمين كان لهم تأثير كبير على تطور الفيزياء عند الغرب.

من أشهر الكتب التي استفاد منها الغرب:

- كتاب "الميكانيكا" للحوارزمي.
- كتب ابن الهيثم، الذي اسمه له بيتذكر في كتب الفيزياء الغربية، ودراساته انتقلت هناك. ابن الهيثم كان له دور كبير جدًا في تطوير العلوم الفيزيائية عند الأوروبيين.

تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب في علم الرياضيات

المسلمين نهضوا بالرياضيات وطوروا التي أخذوه من اليونانيين والهنود. اخترعوا علم جديد اسمه "الجبر"، والاسم ده لسه مستخدم في كل لغات العالم.

الحوارزمي كان له دور كبير في علم الجبر، وكتب كتاب مهم اسمه: "الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة" وشرح فيه العمليات الجبرية لحل المعادلات.

الغرب أخذ كثير من أفكار المسلمين وكتبهم، والتي ساعدتهم يتقدموا جدًا في الرياضيات. العلماء الغربيين معترفوا إنهم مدينين للمسلمين في المجال ده.

تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب في علم الفلك

علم الفلك يهتم بدراسة الكون والكواكب والنجوم وكل الظواهر السماوية. علماء المسلمين عملوا إنجازات كبيرة في الفلك، وكتبهم ودراساتهم أثرت جدًا على الغرب. من أشهر علماء الفلك المسلمين:

- الفرغاني: درس حركة الكواكب والنجوم، وكتب كتاب مهم انترجم للغات تانية.
- محمد بن جابر بن سنان: صحح أخطاء بطليموس وقدم نظريات جديدة، واتكرمه الغربيين وسموه "بطليموس العرب".
- ابن يونس المصري: كان دقيق جدًا في أرصاده، ودرس كسوف الشمس وكسوف القمر.
- ابن الهيثم: أسس علم المناظر، ونقد التنجيم وفرق بينه وبين الفلك، واخترع أول كاميرا استخدموها علماء الفلك لرصد النجوم.
- البيروني: اشتغل في الفلك والرياضيات، وكتابه "القانون المسعودي" كان موسوعة مهمة واستفاد منه الغرب كثيرًا.

تأثير الغرب بالحضارة الإسلامية في علم الجغرافيا

- المسلمين أولوا اهتمام كبير بعلم الجغرافيا وبلغوا فيه مستوى عالي.

- صححوا أخطاء وأوهام العلماء السابقين، وأكدوا استدارة الأرض قبل ما يُثبت ده رسمياً.
- استكشفوا البحار والمحيطات المجهولة ورسوموا خرائط دقيقة للعالم والأقاليم المختلفة، تشبه الخرائط الحديثة.

من أشهر علماء الجغرافيا المسلمين:

1. المسعودي (علي بن الحسين بن علي) - توفي 346 هـ

- أشهر المؤرخين الجغرافيين المسلمين.
- كتب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وذكر فيه المد والجزر والبحار، ووصف البحر الميت وطواحين الرياح الأولى.

2. الإصطخري (إبراهيم بن محمد الفارسي)

- جغرافي ورحالة.
- من كتبه: "المسالك والممالك" وهو من أقدم الكتب في الجغرافيا.
- قسم الأرض إلى عشرين إقليم، وذكر فيها المدن، البقاع، والبحار.

3. البشاري (محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين المقدسي) - توفي 380 هـ

- من كبار الرحالة والجغرافيين.
- ألف "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وهو أشهر موسوعة جغرافية في القرن الرابع الهجري.

4. البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد) - توفي 440 هـ

- عالم كبير، أول من قال بدوران الأرض.
- من كتبه: "الآثار الباقية من القرون الخالية" و"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة".
- كتب عن تاريخ الأمم، جغرافية الهند، تفسير المد والجزر، وقدم معلومات نادرة وقيمة.

5. الإدريسي (محمد بن محمد الهاشمي) - توفي 560 هـ

- من كبار الجغرافيين ومؤسس علم الجغرافيا.
- ألف "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ويعتبره الغرب أفضل كتاب جغرافيا في العصور الوسطى.
- عمل كرة أرضية وخريطة للعالم على طبق من فضة.
- الجغرافيين المسلمين لم يعتمدوا على النقل فقط، بل اعتمدوا على التجربة والمشاهدة، فتنقلوا في البلاد وسجلوا تجاربهم.
- بعض الجغرافيين المسلمين سبقوا الرحالة الأوروبيين مثل كريستوفر كولومبوس في اكتشاف أمريكا.

- كولومبوس اعتمد على كتب المسلمين في الجغرافيا والرحلات قبل رحلته.
- فاسكو دا جاما درس خرائط العرب وأعجب بها كثيرًا.

الخلاصة:

- للمسلمين فضل كبير في علم الجغرافيا.
- زدوا الغرب بدراسات ومعلومات قيمة في العصور الوسطى.
- الغرب اهتم بكتب المسلمين وترجمها للغاتهم.

تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية في علم الفلسفة

- المسلمين ماعرفوش العلم ده غير بعد حركة الترجمة اللي نقلت كتب الفلاسفة اليونان من مناطق البحر الأبيض المتوسط.
- المسلمون أعجبوا بالفلسفة اليونانية جداً، لكنهم مكانوش بس حافظين، بالعكس طوروها وفندوها أخطائها وأضافوا عليها.
- أشهر الفلاسفة المسلمين اللي ساهموا في تطوير العلم ده:

○ **الكندي** (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكوفي): لقب بـ"فيلسوف العرب"، وكتب في الفلسفة الأولى والميتافيزيقيا.

○ **الفارابي** (أبو نصر محمد بن طرخان): ساعد في ازدهار الفلسفة الأرسطوطالية، وقربها للفكر الإسلامي، وكتب عن المدينة الفاضلة والنظام الاجتماعي.

○ **ابن سينا** (أبو علي الحسين بن عبد الله): معروف بطببيه وفيلسوفه، كتب موسوعة "الشفاء" اللي جمعت الفلسفة والرياضيات والطبيعات.

○ **ابن رشد القرطبي** (أبو الوليد محمد بن أحمد): من أكبر شراح أرسطو، وأسس مذهب الرشدية اللي ركز على العقل في البحث، وكتب عن العلاقة بين الحكمة والشريعة.

- تأثير الإسلام على الفلسفة اليونانية أثار اهتمام جامعات الغرب في موضوعات زي النفس، نظرية المعرفة، صفات الله، الخير والشر، وغيرها.

- الغرب تأثر بالعلوم الإسلامية وترجموا كتب المسلمين واستخدموها في التعليم والتجربة.

- العرب المسلمين كان لهم دور كبير في النهضة الأوروبية:

○ كان عندهم نظام حكم يروج العدل والتسامح.

○ عايشين مع بعض من ديانات مختلفة بسلام ومحبة.

○ المساجد والكنائس والمعابد كانوا جنب بعض في كل المدن.

- بعد غلق أكاديمية أفلاطون في أثينا، العرب أنشأوا جامعات ومساجد علمية في إسبانيا وفرنسا وصقلية وغيرها.

- العلماء العرب في العصر الإسلامي كانوا آباء العلم الحديث، وأثروا النهضة العلمية في أوروبا.
- العوامل التي ساعدت على التفوق العلمي عند المسلمين:
 - حرية الرأي العلمي.
 - رعاية الحكام والعلماء وإنفاقهم على العلم.
 - زهد العلماء في الترف والتركيـز على العلم.
 - الاستعداد الذهني والمثابرة الطويلة.
- اعترافات علماء الغرب بقيمة الحضارة الإسلامية وأخلاقيها:
 - إميل در منجم قال إن حضارة الإسلام قائمة على رسالة سماوية ونظام اجتماعي واقتصادي وأخلاقي.
 - غوستاف لوبون قال إن فلاسفة المسلمين علموا العالم التوافق بين حرية الفكر والدين.
- في العصور الوسطى، المؤلفات العلمية الإسلامية ترجمت للغات اللاتينية ودرست في جامعات أوروبا وكانت مرجع أساسي لهم.
- في وقت كانت البلاد الإسلامية منارة للعلم، أوروبا كانت تعيش في جهل وتخلف.
- لما أوروبا عاوزه تنهض، لجأت لعلوم المسلمين مثل مؤلفات ابن سينا، الرازي، الخوارزمي، ابن الهيثم، وغيرهم، وكانت مصدر مهم للمعرفة.